الإرهاب قيدَ البحث

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾

صدق الله العظيم

خلط الأوراق بالقوة

بفضل السياسة الأمريكية الخرقاء بعيد الحرب العالمية الثانية ، تحول العالم إلى غابة شاسعة ، تحكمها القوة ، التى تنحنى لها كل القوانين والأعراف الدولية .. هذه السياسة التى يهيمن عليها اللوبى الصهيونى الذى يهيمن على الإعلام وبيوت المال وهما اليوم عصب الحياة المعاصرة .. وتعتنق مذهب اللا أخلاقى : « الغاية تبرر الوسيلة » والغاية هنا هى : المصلحة ، وتعشق فى وله يصل إلى حد العته والجنون الفكر الصهيونى القائم على أن مبادئ العدل والحق والمساواة والحرية ، مبادئ عفا عليها الزمن ، كأنها من مخلفات العصر البدائى السحيق .

لقد اعتبرت أمريكا التى لا حسب ولا نسب لها .. اعتبرت نفسها أن الفضل كل الفضل فى النصر فى الحرب العالمية الثانية يرجع إليها وحدها دون سواها ، إذ لولا اشتراكها فى الحرب لاكتسح هتلر أوربا كلها فى أيام معدودة ، ومن منطلق هذا الاعتبار الذى يعشعش فى أدمغة أبناء العم سام ، ترى أمريكا أن من حقها أن تسيطر على العالم كله : حاضره ومستقبله ، وأن تنصب نفسها شرطيا دوليا ، يتحكم فى العباد ، وهو ممثل الاتهام ، والقاضى الذى يصدر الأحكام التى لا معقب لها ، ثم الجلاد الذى ينفذ عقوبة الإعدام .

وعلى أساس من هذا الهوى العربيد ، تفسر الإرهاب .

الإرهابى : ليس كل من عارض سياتها إرهابيا ـ وحسب ـ بل كل من لم يؤيد سياستها علنا أيضا ، وإذا كان المسيح عليه السلام ـ يقول : « من ليس علينا فهو منا » فالكاوبوى الأمريكى يقول « كل من ليس معنا فهو علينا » وحين نسوق بيت رهين المحبسين أبى العلاء المعرى ـ الذى ينطبق تماما على أمريكا وسياستها ، فإننا نهتم بمضمون اللفظ ، وليس بما كان يدور بذهن الشاعر وهو يقول :

أتوا باطلا .. وسلوا سبوفا وقالوا : صدقنا .. فقلنا : نعم

ونقول ونحن آسفون :

إن لأمريكا الحق بل كل الحق ، فى أن تصول وتجول ، وأن تعربد فى العالم وتستعمل القنبلة الذرية ، والأسلحة البيولوجية المحرمة دليلا ، للفتك بالأبرياء وتدمير العمران ، فى يدها اليمنى قانون الغابة التى انفردت بتحريرة وفى يدها اليسرى السلاح الفتاك ، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتى وبعد أن وضعت الحرب الباردة أوزارها .. خلالها الجو ، فألغت من الحساب هيئة الأمم . وأخرجت لسانها لمجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية .

والمفروض أن أوروبا كان عليها أن تثبت وجودها فى مواجهة الفجيعة الأمريكية ، وفيها الاتحاد الأوربى والناتو . ولكن لما رأت روسيا الدولة التالية لأمريكا تخطب ود واشنطن ، والصين الدولة الثالثة تجعجع وتلعب بالألفاظ ، رأت أن تتجاوز مجرد أن تطلب ود واشنطن ، إلى أن تضع كيانها كله رهن إشارتهـ ، وأن يخلع ساداتها القبعات ويلبسوا البراقع ، دون أن يحسبوا حسابا لشريد ألاف العمال بعد إغلاق مصانع القبعات

روسيا التى أصبحت بقايا دب أصبح مترنحا . مضطرة إلى أن تخطب ود واشنطن حتى تغلق عينيها وتعم أذنيها وتطلق يدها فى الجمهوريات الإسلامية . وتتمادى فى حرب الإبادة التى تشنها على الشيشان المسلمة بلا هوادة.

ولم يحس الإنسان بالمرارة ، وهو يرى أن محنة الشيشان ، صارت غير واردة على خواطر الدول العربية ـ على الإطلاق ، بل تتفاقم هذه المرارة لدينا ونحن نرى هذه الدول على علاقة طيبة مع روسيا ، وتتطور مثل هذه العلاقة إلى درجة الخيانة لدى أية دولة عربية أو مسلمة تعقد تحالفا مع روسيا ، أو تشترى السلاح منها ، ومعنى هذا أن المسلمين فى الشيشان يبادون بأموال عربية و مسلمة .

ولا ألوم الرئيس السورى بشار الأسد على ارتباطه بموسكو واحج إليها ، فهو على نهج أبيه يسير ، الذى منحته وسائل إعلامه لقب البطل حيا وميتا لصموده أمام احتلال أخس خلق الله الجولان السورى منذ ثلث قرن من الزمان .

ولكن اللوم كل اللوم على إيران التى سقطت فى الهاوية ، تخطب ود موسكو ، وتبعث وزير خارجيتها لشراء السلاح ، إيران الحديثة التى يبدو أنها فقدت الإمام الخمينى ولم ولن تعوضه ، ومن يدرى فلعل الله عز وجل - قضى بعقم الأمهات فى إيران حتى لا يلدن مثل الإمام الخمينى الذى أذل أمريكا أقوى دولة فى العالم .

وكنا نحس الظن بخاتمى ، ولكن أحداث الثلاثاء المشئوم كشفت أننا تسرعنا حين أحسنا الظن به وعوضنا الله خيرا بعلماء إيران ، وشعبها المسلم الذين - رفضوا رفضا قاطعا سلوك واشنطن الإجرامى ، لقد صرح الرئيس خاتمى نقلا عن إذاعة لندن فى يوم الأحد من أكتوبر الماضى ، بأن حركة طالبان حركة إرهابية تصدر إلى العالم الإرهاب والمخدرات ، ولكى يخفف من وطأة تصريحة الجبان ، أضاف : إنه لا يوافق على شن الحرب على أفغانستان ، ونسى الرئيس خاتمى أن ذله وانحناءه لواشنطن ، لن يحملها على أن ترفع اسم إيران من رأس قائمة الدول الإرهابية ! بل التى تصدر الإرهاب وترعاه . .

الصين الصديقة للعرب والمسلمين ، تعتبر الإرهاب وتفسره على أنه صفة لاصقة بالعرب والمسلمين وحدهم ، ولذلك تمارس أبشع ألوان الإرهاب فى الأقلية المسلمة فيها ، تعاملهم كرعايا من الدرجة العاشرة تكدر عليهم معايشهم ، وتهدر أمنهم ، وتعتدى على مساجدهم ، حتى يشعروا بأنهم منبوذون غير مرغوب فى وجودهم ، وما أكثر ما شنت عليهم حروب إبادة ، وجاءت أحداث الثلاثاء لتبالغ فى اضطهادهم باعتبارهم إرهابيين ! .

واوربا - كذلك ، تعتبر كل عربى وكل مسلم إرهابيا ، وبعد أحداث الثلاثاء الأسود بدأت تراجع حساباتها تجاه العرب والمسلمين المقيمين فى أراضيها ، واستجابت شعوبها فتحولت إلى برابرة تمارس الإرهاب ضدهم ، حتى أصبحوا يعيشون فى رعب ، بل بلغت الوقاحة بجماعات من النمسا أن تتجه إلى مقابر المسلمين فى محاولة لهدمها ، برغم أن أوروبا مزرعة للمافيا والإرهاب فى العديد من دولها مثال : إيطاليا وإسبانيا وقبرص واليونان وغيرها .

وأمريكا الجنوبية تعج بالإرهاب ، والانقلابات العسكرية قائمة على قدم وساق .

أما تفسير الإرهاب فى عالمنا العربى والإسلامى ، فله شأن آخر ويقوم بتفسيره الأنظمة الشمولية ، فكل معارض لسياستها إرهابى ، وكل من لا يعلن تأييدها فى سياستها على الملأ فهو مرشح لأن يكون إرهابيا ، بل إن كل متدين متطرف ، مرشح لأن يكون إرهابيا ، ويظل تحت المجهر تعد عليه ـ لاخطواته ـ وحسب ـ بل أنفاسه ، وحركات رموش عينيه كذلك ، ولا يسأل عن حركاته بقظة وحسب ـ بل على أحلامه فى نومه ، فى تحد وقح لما ورد فى الصحيح : « رفع القلم عن ثلاثة : الطفل حتى يبلغ ، والنائم حتى يستيقظ ، والمجنون حتى يفيق من جنونه » .

وتفسير الأنظمة الاستبدادية للإرهاب ، مرجعه ضيقها بالإسلام الحق الذى رضيه الله لعبده دينا ، وترحب بالإسلام الشكل ، إسلام الطرق الصوفية ، وإسلام المناسبات والأعياد ، حيث تنشرح صدور الفراعين والحاكمين بتلقى التهانى من شتى البقاع بمناسبة العيدين وليلة القدر وذكرى الهجرة ومولد الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وحتى ليلة النصف من شعبان وذكرى الإسراء والمعراج ! .

ولن أكون مبالغا إذا قلت :

إن بعض الزعماء فى ديار العرب والمسلمين ، يضيقون بالإسلام ـ نظام حياة ، أكثر من ضيق أعدائه ، لأن ضيق هؤلاء الأعداء من منطلق إديولوجياتهم ، أما هؤلاء الزعماء الأشاوس ، فإنهم يضيقون كل الضيق لحسابهم الشخصى ولحساب كراسيهم ومصالحهم ، وهنا تكمن الأنانية الملحة ، بل ورغبة فى التزلف إلى القوى المعادية للإسلام ،و خطب ودها ، ولأن هذه القوى يسعدها أن تكون ردءا لهم سياسيا وإعلاميا فى البطش بالحركات الإسلامية فى أى وقت شاءت وليس بين أهل الشر حساب .

فى عام ١٩٥٤ م اعتقل الزعيم عبد الناصر من الإخوان المسلمين أكثر من عشرين الفا ، وسمح للصحافة الأمريكية أن تلتقط لنا صورا ونحن وقوف فى فناء السجن الحربى وفى مقدمتنا المرشد العام الاستاذ الهضيبى ،

كأسرى حرب دولة منهزمة محوطين بالسياط فى أيدى جنوده لإرهابنا ، ولم تمض إلا شهور معدودة حتى اقتصت السماء ، وكان العدوان الثلاثى على مصر .

وفى أغسطس عام ١٩٦٥ م اعتقل عبد الناصر بأمر من موسكو مقابل بيع السلاح له ـ أكثر من أربعين ألفا من الإخوان المسلمين ، وكانت المحاكمة مهزلة ،كان قانون الغاب يقدم للمحاكمة من أطلقوا عليه « شهد ولم يبلغ» وكنا من قبيل السخرية نضيف من عندنا : « بلغ ولم يشهد » و « من لم يشهد ولم يبلغ » .

واقتصت السماء بعد واحد وعشرين شهرا ، فكانت هزيمة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧م ورحل الزعيم الذى يفخر بأنه يملك أكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط ، وترك سيناء يلعب فيها الكرة سلالة القردة والخنازير ، كما ترك مصر مكبلة بالقروض ، وأقول : اقتصت السماء ، لأن الأسلحة الروسية التى بطش فيها بأكبر حركة إسلامية ، دمرت إسرائيل منها ما دمرت ، وعرض الباقى منها ضمن العرض العسكرى فى تل أبيب ! .

وأمير المؤمنين الحسن الثانى ملك المغرب الراحل ، زج بمعارضيه ـ وبخاصة المنتمون إلى الحركة الإسلامية زهاء ثلاثين عاما ، وعلى نهجه سار ابنه والشئ من معدنه لا يستغرب ، ولست أدرى كيف ورث الابن ملك أبيه ، ولم يرث لقبه « أمير المؤمنين » .

كنت فى المغرب منذ بضعة عشر عاما مشتركا فى مؤتمر إسلامى ، وفوجئنا بتأجيل افتتاح المؤتمر ، وكان السبب ـ وإذا عرف السبب بطل العجب ـ لقد رزق أمير المؤمنين حفيدة فى صبيحة يوم الافتتاح ، وانشغال الدولة باستقبال الحفيدة بالطبل والزمر أهم من افتتاح مؤتمر إسلامى ، وطوال اليوم كان التلفاز يعرض مشاهد الزاحفين إلى القصر الملكى للتهنئة من كبار الدولة وممثلين عن النقابات والعلماء والطرق الصوفية .

وشاهدت حوارا أجراه التلفاز الفرنسى مع أمير المؤمنين ، سأله المذيع :

ـ هل يرى جلالتكم استمرار الصحوة الإسلامية ؟

ـ وأجاب : سوف تظل قائمة طالما ظلت الشعوب المسلمة فى جهل وتخلف !!

يا صاحب الجلالة : آسف : يا أمير المؤمنين .

يا من ورثت الملك عن أبيك العظيم الراحل ، ولم ترث عنه دينه وخلقه ، ومواقفه ، أجل كان أبوك عظيما لأنه ضحى بسلطانه وآثر النفى بعد العزل ولم ينحن لفرنسا ، والشعب الذى تتهمه بالجهل والتخلف هو الذى أعاده إلى عرشه .

وقد يكون لك حق فى وصفك الشعوب المسلمة بالجهل والتخلف ، لأنها سمحت لنفسها أن تكون رقيقا يخضع لسادته ، ويرثه الأبناء عن الآباء وأن تكون قطعان من الماشية ، تسوقها بعصيها وبسياطها ويسوقها رعاة جبابرة فراعنة عتة « نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ولكنك يا أمير المؤمنين : جهلت أو تجاهلت .. نسيت أو تناسيت ، غفلت أو تغافلت أن الصحوة الإسلامية الجادة ـ التى ترهبك وتهز عرشك ، وإنما تقوم على أكتاف فئة مؤمنة ستظل على الحق حتى يأتى أمر الله !وأنت يا أمير المؤمنين ـ بالطبع ـ لم تقرأ ما رواه مسلم فى صحيحه ، عن ثوبان رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلم :

« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله ، وهم كذلك » .

وأعود : فأقول :

إن للأنظمة الاستبدادية تفسيرا للإرهاب خاصا بهم ، يتفق مع ضيقهم بالإسلام نظام حياة ، وتوهمهم أنهم آلهة أو أنصاف آلهة إذا تواضعوا ، وفى كل الأحوال فإن دساتير حكمهم غير المكتوبة ، تؤكد أنهم ذوات مصونة يجب ألا تمس ، وأنهم لا يسألون عما يفعلون ، ولست مبالغا ولا مغاليا ، ففى مسرحية المنشية التى عرضت بميدان المنشية بالإسكندرية عام ١٩٥٤م ، وعلى أثر الرصاصات الخائبة التى وجهت إلى عبد الناصر وهو يخطب ، انفجر قائلا موجها قوله إلى الشعب : لقد خلقت فيكم العزة ، خلقت فيكم الكرامة ، خلقت فيكم الحرية .. هتافات مدوية ! .

وإزاء هذا الزخم من حق القارئ أن أرفه عنه من خلال هذه المازورة : نشرت الصحف بعد أيام من الحادثة : أن مواطنا من الإسكندرية عثر على المسدس الذى أطلق منه الرصاص على الزعيم ، ولما لم يكن لديه ثمن التذكرة ليستقل القطار إلى القاهرة ، لكى يسلم المسدس إلى الرئيس بيده قطع المسافة راجلا من الإسكندرية إلى القاهرة ، إلى قصر الرئاسة ، مسرورا بأداء واجب وطنى يحمد عليه .

ولنعتبر العقل والمنطق فى إجازة مفتوحة ، ونتساءل فى أسى مرير : أيمكن أن يكون الحرس الذى تمكن فى نفس اللحظة من القبض على الجانى لم يتمكن من العثور على أداء الجريمة ؟ .

وهل العمال الذين أزالوا السرداق بما فيه من الكراسى ، أصيبوا جميعا بالعمى فلم يروا المسدس ملقى على الأرض ، حتى ساق القدر المواطن الوطنى إلى مكان السرداق ليعثر عليه ؟! .

وتشير الكاتبة إلى أن البعض يرى ـ كالعادة ـ أن الجائزة لم تخل من الانحياز السياسى ، حيث تأتى فى الوقت المواكب للمعركة التى تخوضها أمريكا ، وبعض الدول العربية وعلى رأسها بريطانيا ضد ما يسمونه «الإرهاب الإسلامى العربى » وهذا الكاتب المحظوظ من أصل هندى هندوسى ، ومن هنا كان له موقف متحيز من الإسلام ، ولا يضيع فرصة متاحة إلا وينتهزها ، ففى مقال كتبه فى الأسبوع الماضى بمناسبة الهجمات الأخيرة على الولايات المتحدة ، اعتبر هذه الهجمات دليلا قاطعا ، على ما سبق وأعلنه وكتبه من أن الإسلام يحطم هوية الآخرين ـ كما يعتبر هذا الحائز على جائزة نوبل ـ أن الدين سوط للإنسانية ، يخمد الخيال والطموح إلى التجربة والتفكير .

وتضيف المحررة :

إن نيبول فى راويته الشهيرة « ما بعد الإيمان » يؤكد أن الإسلام لم يقدم حلا سياسيا أو عمليا للقضايا السياسية التى أثارها ، فلم يقدم سوى الإيمان ، والنبى الذى كان سيوجد الحلول لكنه مات » .

ونقول : لسنا فى مجال الرد على هذا الهندوسى المختل ، وفاته أن يؤكد

أن الهندوسية التى تقوم على عبادة البقرة . هى التى قدمت الحلول .

ولندع هذا المعتوه وشأنه ، لنواصل الحديث عن الحرب الصليبية الجديدة، ونعرض ما جاء فى جريدة «الأسبوع» فى الثامن من أكتوبر الماضى ، عن بيان « ملتقى الحوار العربى » الذى أصدرته الأمانة العامة ، حول الدعوة الأمريكية لحرب صليبية جديدة وفى مسعى جديد للإمبريالية لتأكيد سيطرتها على العالم ، وأكد البيان أن الولايات المتحدة ـ وفى تناغم مع العنصرية الصهيونية ، وأوساط عنصرية فى أوروبا سارعت إلى تحميل العرب والمسلمين مسئولية ما حدث مستبقة بذلك نتائج التحقيق .

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن جريدة « الأسبوع » القاهرية ، قد قامت بدور تحمد عليه فى تغطية الأحداث وتحليلها فى صراحة تامة .. ولا تزال ، ففى عددها الصادر فى الخامس عشر من أكتوبر الماضى تحقيق فى مقال للأستاذ أحمد عز الدين يقول : القائمة الأمريكية بالمنظمات الإرهابية ، تشير إلى أن الحرب ضد المسلمين والعرب ، حيث يرى الكاتب : أن اتساع وتعميق نطاق استخدام القوة الأمريكية على حواف النظام الإقليمى العربى وفى دائرة الإسلام الحضارى ، من شأنه أن يكسب مفهوم الحرب الحضارية ، أو الصراع الحضارى ، مزيدا من المصداقية ، خاصة إذا كانت المفردات التى تتوثب فى وسائل الإعلام ، وتصريحات المسئولين فى الغرب ، تستخدم مفردات تبدو وكأنها عناصر تخليق حضارة جديدة ، تابعة لحضارة غالبة بديلا عن تلك الحضارة المغلوبة : (العربية والإسلامية) بالطبع .

ويضيف الكاتب :

أظن أن أشياء كثيرة تشى بهذا المعنى إلى حد أن هذا النفى المتصل لأن تكون الحرب الغربية موجهة ضد الإسلام ، يبدو مع كثرة الإلحاح على تكراره ، وكأنه نوع من التأكيد النفسى الذى يعززه النفى اللفظى .

ثم إن مسرح المواجهة ينطق بحقائق يصعب تغليفها كحبوب الدواء بطبقات من السكر كى يسهل ابتلاعها ، فمسرح العمليات الواسع ، وخرائط استخدام القوة ، ومظاهر الإكراه السياسى والعسكرى ، تطول بالأساس دولا عربية وإسلامية ، والحديث عن التهديدات وطبيعتها

وأدواتها ، لا يطول سوى العرب والمسلمين ، والمفاهيم لا تتصادم حتى من حيث توصيف الإرهاب ماديا إلا فوق تخوم ساحة عربية ، ومنظمات عربية .

ويقول الكاتب فى تحقيقه الجيد :

إن سياسيا مرموقا بريطانيا هو السيد (سيرتا ونسند) وليس الإعلام المصرى أو العربى ـ هو الذى تساءل فى دهشة موحية قائلا : « هل سيكون الجيش الأيرلندى الجمهورى ـ الذى يقاتل حكومة بريطانيا منذ ٤٠ عاما ، وفجر الفندق الذى تقيم فيه تاتشر أثناء مؤتمر لحزبها ـ هدفا لأمريكا ؟ وهل ستستهدف الانفصاليين الباسك ؟ والمنظمات الإرهابية فى أمريكا اللاتينية ؟ وماذا عن غارات إسرائيل وما يرافقها من قتل وتدمير .. قبل أن يعمق دهشته بالسؤال المفتاح : أم ستقتصر الحرب الأمريكية على إرهابين ، ينتمون إلى ديانة واحدة من ديانات الشرق الأوسط ؟

ونقول : إن هؤلاء المرجفين الذين يرفضون فكرة « الحرب الصليبية » لا يقرأون ، وإذا قرأوا لا يفهمون ، وإذا فهموا ـ وهيهات ـ يجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير : لا أظن أنهم قرأوا ما نشرته « أخبار اليوم » فى العشرين من أكتوبر الماضى :

« تحالف برلوسكونى ـ رئيس وزراء إيطاليا الذى هاجم الاسلام منذ أيام يطالب بمنع دخول المسلمين إيطاليا ، وإغلاق المساجد ، فى جميع أنحاء المدن الإيطالية ـ هذا وقد شارك فى الدعوة إلى إغلاق المساجد فى إيطاليا عدد كبير من أعضاء الحكومة اليمينية فى مقدمتهم (فراتينى) وزير الوظائف العامة ، وأعضاء حزب التحالف الوطنى اليمينى ، وبعض أعضاء رابطة الشمال التى يتزعمها (بوست) وزير الإصلاحات الدستورية ، وأحد حلفاء (برلوسكونى) الوقح ، المقربين فى حكومته .

وحسبنا رأى وزير خارجية بلجيكا (لوبى ميشيل) فى حكومة (برلوسكونى) عندما سأله الصحفيون ، تقييمها ، فقال : « إن تقييمى لأداء حكومة (برلوسكونى) صفر !

كل الدلائل تؤكد أن تصريح الرئيس الأمريكى بوش ـ بأنه سيقود حربا

صليبية جديدة ، كان نابعا من قلبه وعقله ، وأنه كان يعنى ما يقول ، وعلى أثر تصريحه اشتدت الحملات البربرية فى الولايات المتحدة وكندا وأوربا على المسلمين والعرب القائمين فيها .

إلا أن لجريدة « القاهرة » التى يصدرها الأستاذ صلاح عيسى باسم وزارة « الثقافة » رأيا آخر ، ففى عددها الصادر فى التاسع من أكتوبر الماضى ، تحقيق فى صفحة كاملة ، للمحررة أمنية فهمى ، تحت عنوان :

« الحرب ضد الإرهاب قضية سياسيه وليست دينية » والبداية :

« تلقفت فصائل سياسية تنتمى إلى الإسلام السياسى ، فى بعض البلدان العربية والإسلامية فلتة لسان من الرئيس الأمريكى جورج بوش ، اعتذر عنها فيما بعد ، وصف فيها الحرب القادمة ضد الإرهاب ، بأنها حرب صليبية ، وبعدها جاءت تصريحات لرئيس الحكومة الإيطالية (سيلفيوبير لسكونى)حول تفوق لحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية المتخلفة » .

وتجاهلت الكاتبة أن رئيس الحكومة الإيطالية الوقح الذى هاجم الإسلام وحضارته ، لم يكن يعبر عن رأيه الشخصى ، بل عن النزعة الصليبية التى لم يتجرد منها الغرب بعد ، ولسنا ندرى ما رأى المحررة فيما نشرته « أخبار اليوم » العشرين من أكتوبر الماضى تحت عنوان « تحالف برلوسكونى » يطالب بمنع دخول المسلمين إيطاليا ، وإغلاق المساجد فى جميع أنحاء المدن الإيطالية ، وقد أيد التحالف مطالبته أعضاء رابطة الشمال التى يتزعمها وزير الإصلاحات الدستورية .

وما زلنا مع تحقيق الكاتبة أمنية فهمى بجريدة القاهرة :

● كان من المتوقع أن يقول القس د.كرم لمعى : « ليس هناك ما يسمى بالحرب الدينية فى التاريخ كله .. حتى الحروب الصليبية لم تكن دينية ، لكن استخدام الدين لأغراض سياسية شئ ليس بالجديد .

ونحن نسأل المفكر القس : لماذا بارك بابا الكنيسة الحروب الصليبية وأيدها ؟ ولماذا استهدف الصليبيون بيت المقدس بالذات ؟ وما أن وطأت قدما القائد البريطانى اللورد إللنبى فى الحرب العالمية الأولى أرض بيت

المقدس حتي قال وهو يلتقط أنفاسه : الآن انتهت الحروب الصليبية ؟ ولماذا اتجه الجنرال الفرنسى الوقح إثر انتهاء معركة ميسلون ـ قرب دمشق ، اتجه إلى قبر صلاح الدين وركله بقدمه ، واجتر كل أحقاده الصليبية ، وهو يقول : « هانحن قد وصلنا فقم يا صلاح الدين ؟؟ .

● وكان الدكتور أحمد كمال أبو المجد ـ أستاذ القانون ـ قبل أن يكون وزيرا للإعلام ـ حذرا فى إجابته :

« الحروب الصليبية التى اتخذت من الصليب ـ وهو رمز دينى ـ شعارا لإخفاء أغراضها السياسية الاقتصادية ، ثم الموقف الأمريكى والغربى من الصراع العربى الإسرائيلى ، والاستعمار لمعظم الدول العربية والإسلامية ما رسخ التاريخ الاستعمارى لكثير من دول أوروبا والغرب ، يد التاريخ الثقيلة جعلت المنافسة بين الشرق والغرب تأخذ مظاهر متطرفة فى الصراع » .

● أما الكاتب الإسلامى الأستاذ مجدى أحمد حسين ، فكان واضحا ، يرى أن الصراع صراع دينى حضارى ، أو بالتالى : هو أشمل من الحرب ، لأنها إحدى أدوات هذا الصراع ، الذى بدأ منذ ١٥ عاما تقريبا ، عندما بدأت المراكز الفكرية والسلطة الأمريكية تلحظ الصعود الإسلامى ، بعد ثورة إيران ، وسقوط الاتحاد السوفيتى ، وشعرت أمريكا بخطورة الإسلام ، وقد بدأ هذا الصراع بكل الأشكال ، لكن بعد حادث ١١ سبتمبر اتخذ أشكالاً أكثر حدة ، ومهما أعلنت أمريكا أن الحرب القادمة هى الحرب على الإرهاب ، فإن الحقيقة أنها حرب على الإسلام ، فالإرهاب فى كل مكان ومجال ـ إذن .. لماذا ساوت أمريكا ومعها العالم بين الإسلام والإرهاب ؟! .

***

إن الحرب الصليبية كان لابد أن تشن ، وإلا فما معنى أن تشن الحرب الإعلامية فى أمريكا وأوروبا على الإسلام والعرب والمسلمين إلى درجة السعار فى السنوات الأخيرة ، وتكشير العنصرية النازية لاضطهاد العرب والمسلمين المقمين هناك ، وكان تأجيلها مؤقتا تحين للفرصة الملائمة ، وإعداد المبررات وصياغة الاتهام ، ولو لم تقع أحداث الثلاثاء ، وكانت

الأحداث الفرصة الذهبية التى أتاحت الفرصة لتنفيذ المخطط الرهيب الذى كان لأصابع الموساد في تل أبيب وجناحه فى واشنطن وإعلامه فى أمريكا وكندا وأوروبا الدور الرئيسى ، الخطة كاملة المتهم وحيثيات الاتهام وإصدار الأحكام .. وأسامة بن لادن كبش الفداء .

إن سياسة القوة والبلطجة التى تمارسها إسرائيل ، تمارسها واشنطن كذلك ، وهذه السياسة لا تتحدى هيئة الأمم وحسب ، بل تتحدى العقل والمنطق ، وما دامت سياسة تل أبيب ، تشن غارات على لبنان وتونس والعراق وتصر على احتلال الجولان السورى إلى الأبد ، مبررة جرائمها بأنها دفاع عن النفس ، فإن واشنطن من حقها أن يكون لها قواعد عسكرية فى شتى بقاع العالم ، و واصل ضرب العراق ـ مع ذيلها بريطانيا وتضرب أفغانستان بالأسلحة البيولوجية ، وتتوعد الدول التى وضعتها فى قائمة الإرهاب بالويل والثبور .

بالمشاهد السياسى فى ٣٠ / ٩ / ٢٠٠١م .

أعلنت كوندو ليزا رايس مستشارة الرئيس الأمريكى بوش لشئون الأمن القومى : « أن الولايات المتحدة فى حالة دفاع شرعى او مشروع عن النفس ، ولديها حق التدخل عسكريا بدون تفويض من هيئة الأمم المتحدة ، قالت المستشارة لمحطة فوكس التليفزيونية : إن الولايات المتحدة فى حالة دفاع مشروع عن النفس ، وهذا الحق معترف به فى القانون الدولى ، ومعترف به في الأمم المتحدة نفسها »

ذكرتنى هذه « الحرمة » رايس .. مستشارة الأمن القومى الأمريكى فى العصر النكد ، بقصة الحمل والذئب التى قرأناها فى أولى مراحل التعليم ومؤداها : كان الذئب على قمة النهر والحمل الصغير فى أسفله ، قال الذئب للحمل : أنت عكّرت على الماء ! قال الحمل : كيف أعكر عليك الماء وأنت على قمة النهر وأنا أسفلة ؟ قال الذئب : إن أباك قد شتمنى ، قال الحمل : لقد ولدت يتيما لا يُعرف لى أب . قال الذئب : إذن فجدك أو خالك أو عمك هو الذى شتمنى . ولابد من أن أنتقم منك . وانقض عليه وافترسه » .

ونقول لمستشارة الرئيس الفتوة لشئون الأمن القومى :

هل الدفاع المشروع الذى تتذرعين به وقومك : يبيح إلقاء التهم جزافا ، وتعيين المتهم قبل أن يبدأ التحقيق ؟ ولو أنصفت وما كان لمثلك أن ينصف ـ لقلت : دفاع مشروع عن المصالح لا عن النفس وهو معترف به فى قانون الغابة .

إن الغرور الأمريكى لا يسمع للرأى الآخر ، لأن فى هذا إهانة لغروره وكبريائه ، ولو كان هذا الرأى الآخر متفقا مع العقل متسقا مع المنطق صادرا عن أشخاص لهم وزنهم واحترامهم .

فى عدد « المشاهد السياسى » السابق ذكره : تحقيق تحت عنوان : « العدالة المطلقة : تناقضات العنف ، والعنف المضاد :

● « والأهم من ذلك كله : جملة التساؤلات المتعلقة بحقيقة اتهام الإدارة الأمريكية لأسامة بن لادن بالتسبب للهجمات الرهيبة التى تعرضت لها واشنطن ونيويورك فى الحادى عشر من سبتمبر الماضى ، خاصة بعد أن رفض كولن باول ـ وزير الخارجية الأمريكية ـ وهو رجل يعرف بالموضوعية والاعتدال ـ بيان نوع الأدلة التى حصلت عليها بلاده ، والتى تجعلها متأكدة من أن بن لادن ـ دون سواه ـ وليست الأطراف الأخرى التى غابت فجأة عن مسرح الأحداث ، والتى خلت من بينها قوائم الضحايا ودورهم فيما حصل ـ وإذا كان بن لادن ـ بالفعل هو المسئول ، فلماذا ترفض الولايات المتحدة محاكمة عادلة ـ تحت سمع العالم وبصره ـ له ؟ أليس القانون الذى تنادى به الولايات المتحدة فى حكمها للعالم يقوم على حقيقة أن كل منهم برئ حتى تثبت إدانته ؟ أليس هذا هو المبدأ الذى تتهم واشنطن دولا عربية معينة ، وأخرى أجنبية بالإرهاب والتسلط ، بسبب عدم إتاحة فرص عادلة لخصومها وأعدائها للدفاع عن أنفسهم تحت مظلة قانون مكفول دوليا ؟

ثم هل هى المصادقة وحدها أن يزج بكل هذا العدد من أسماء الطلاب العرب الخليجيين ؟ السعوديين أولا ـ والإمارتيين ، ومن ثم العمانيين ؟؟.

● فمنذ اللحظة الأولى التى باشرت فيها الولايات المتحدة تحقيقا ضخما يغطى كافة أراضيها ، وينطوى على تشعب فى الخارج ، آملة أن تحدد بدقة

هوية منفذى الاعتداءات الإرهابية والامرين بها ـ اعتبرت ـ مقدما أن أسامة بن لادن هو المشتبه به لرئيسى .

وتناست الولايات المتحدة .

أجل : تناست من يمكن أن تكون لهم مصلحة فى أعمال إجرامية مثل هذه وليست انتقامية ـ كما هو الحال إن ثبت حقا أن إسلاميين أو عربا ، أو أسامة بن لادن وراء هذه الأحداث ـ اختارت عدوا واحدا مجهول الأثر هو الإرهاب ، ووضعت صورة بن لادن ولحيته وعمامته فوق وجه هذا الإرهاب ، فأهملت ـ أو تعمدت ـ إبطاء معدلات البحث عن الحقيقة الكاملة بعد ما أقنعت وسائل الإعلام ـ قبل الشارع ـ بأن الفاعل معروف ، وهو المتشدد الإسلامى الذى يعيشن بين العناكب والعقارب فى الكهوف ، والذى يريد تدمير الحضارة والمدنية ، ربما بلحيته ، أو بدعائه عقب كل صلاة .

● ولا بحث عن الحقيقة ، واشنطن لم تكن فى حاجة إلى تحرى الدقة فى البحث عن المتهم الحقيقى ، لأن بين يديها من تريد إلصاق التهمه به :

« ترددت أخبار من مقربين من البيت الأبيض ، بأن طيارين صربا يحملون الجنسية الأمريكية ، ربما يكونون قد انتقموا للإذلال الذى يتعرض له رئيسهم السابق ـ ميوسيفيتش ـ وتردد ـ أيضاً ـ أن الموساد الإسرائيلى ما زال أكبر المستفيدين ممـ حصل من تشويه سمعة العرب والمسلمين ـ عموما ـ والإسلام ـ خصوصا ـ وما لحق بالفلسطينين وأجبرهم على الرضوخ لمطالب أمريكا بوقف الانتفاضة .. وهناك بعض المنظمات والمجموعات الأمريكية التى نفذت ـ من قبل كارثة ـ أو كلاهوما .

ملاحظة : ضحايا الكارثة التى وقعت عام ١٩٩٥ بلغوا ١٦٨ قتيلا و ٥٠٠ جريح ، وحكم على الجانى ، وهو أمريكى ـ بالإعدام .

« وهناك ـ أيضاً ـ أحاديث عن مافيا المال الأسود ، وتجارة المحرمات ، والذين يعتقد أنهم كونوا سيخسرون ما بين ٦٠٠ ـ ٧٠٠ بليون دولار بالعملات الأوربية ، وربما أكثر من الأموال غير النظيفة وفى حال بدأت أوروبا بتداول العملة الموحدة (اليورو) قبل أن تتمكن هذه العصابات من إدخال الأموال إلى بنوك درجة أولى .. أو تغييرها بأموال نظيفة ، وهو أمر

كان يصعب تحقيقه فى ظل وجود سجلات كاملة عن حركة انتقال الأموال فى بنوك العالم مودعة فى مركز التجارة الدولى فى نيويورك . الذى تم تدمير برجيمه تماما ، وبذلك سيكون بإمكان أصحاب هذه الأموال إدخالها وإخراجها .. ومزيدا من الآراء المتأنية التى لم تهتم بها واشنطن :

البروفسو ـ أوجست براديتو وهو ألمانى يعمل خبيرا فى الشئون السياسية فى جامعة القوات المسلحة الألمانية فى هامبورج : اعتبر أن تركيز الولايات المتحدة فى تحقيقاتها ـ على بن لادن ـ أول وأفدح الأخطاء ، التى يمكن أن تبعد العالم ـ بما فى ذلك الراغبون من الأمريكيين فى معرفة ما حدث عن الحقيقة ، وأعرب فى مقابلة نشرتها له صحيفة « ديفلت » فى برلين أن قناعته الأولية تتمثل فى وجود جهات أخرى ضليعة فى العملية أو مسئولة عنها بالكامل .

ووفقا لنظرية براديتو الخبير الألمانى فى الشئون السياسية .

فإن الإعداد للعملية والإنفاق عليها ، ربما تجاوز ثمانى سنوات ، وقال : إن هيمنة الولايات المتحدة ـ بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ـ على أمور العالم ، خلق لها العديد من الأعداء لاسيما بين الأطواف المتأثرة بالإيديولوجية السوفيتية .. وهو اعتقاد جعله يرجح أن تكون أجهزة استخبارية سابقة متأثرة بهذه الإيديولوجية تعاونت مع قوى أخرى ، هى التى نفذت عملية فائقة التخطيط والتنفيذ على النحو الذى هز العالم .

وشدد براديتو على القول بأن المنفذين كانوا يقصدون إهانة أمريكا واستفزازها ، وأن هدفهم الأساسى واضح ، وليس الانتقام من الولايات المتحدة ، وإنما دفعها لإجبار حلف (الناتو) على شن حرب على الإسلام والمسلمين .

● ويعرض التحقيق لمسلسل المتناقضات :

أ) أكدت الوقائع أن طيارا سعوديا ورد اسمه فى لائحة الـ ١٩ الخاطفين التى نشرها مكتب التحقيقات الفيدرالية (إف بى آى) حى وموجود فى تونس .

ب) وخلال أيام ـ فقط ـ تبين أن من ١٥ سعوديا وجه إليهم مكتب التحقيقات الفيدرالى 'لاتهام ـ سبعة أشخاص لاعلاقة لهم ـ لامن قريب ولامن بعيد بما حدث ، إنهم ليسوا من بين الانتحاريين ولابقية الركاب ، بل إنهم لم يكونوا موجودين ـ أصلا ـ فى الولايات المتحدة فى الحدى عشر من سبتمبر .

جـ) اضطرت الشرطة الفيدرالية ـ خلال أو ل أسبوعين إلى إلقاء القبض على أكثر من ٥٦٠ شخصا ـ على الأقل ـ بعضهم جئ بهم من أوربا للاشتباه فيهم لكنها أفرجت عنهم ماعدا خمسة كشهود إثبات أو اشتباه

● كما يعرض التحقيق بعض المفارقات :

أ) ذكرت نشرة المخابرات على البريد ألالكترونى (انتلجنس أون لاين) المعروفة بدقة مصادرها ـ فى عددها الذى كان تحت الطبع وقت أن قامت القيامة فى أمريكا ـ ذكرت أن الاتصالات بين الحكومة الأمريكية وحركة طالبان ، بلغت درجة جد متقدمة خلال العام الأخير .. وأن التنسيق والتفاهم بلغ ذروته فى أغسطس الماضى ، وذكرت أن مبعوث الجماعة الإسلامية الحاكمة فى أفغانستان ـ قاضى حسين أحمد ـ زار واشنطن فى الأيام الأولى من الشهر المذكور ـ بعد أن توقف أولا فى لندن ـ والتقى أحمد المولود ـ كذلك ـ فى باكستان مع مسئولين من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (IA) ووزارة الخارجية الأمريكية ، وكان هدف المباحثات التى جرت خلف أبواب مغلقة فى واشنطن ـ هو خلق حوار مثمر بين واشنطن وكابول ، وتمت الزيارة تتويجا لمحادثات غير رسمية جرت فى مطلع الصيف بين رحمة الله هاشمى ـ السفير المتجول لطالبان مع مسئولين كبار فى البنتاجون (وزارة الدفاع) ووزارة الخارجية .

ب) أما أغرب المعلومات التى ترد هنا ـ فيتمثل فى حقيقة أن كل هذه الترتيبات تمت بفعل نشاط قامت به (لايلى هيلمز) التى تعتبر الممثلة شبه الرسمية لحركة طالبان فى الولايات المتحدة ـ وهى ابنه شقيق مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأسبق (ريتشارد هيلمز) الذى كان سفيرا فى إيران ، ولعبت هيلمز دوراً أساسيا فى إعادة تنشيط شبكات الاتصالات

الأفغانية من جهة ، مع المسئولين النافذين فى الولايات المتحدة والتى بدأت عندما كان المجاهدون الأفغان يحاربون القوات السوفياتية فى بلادهم ، والتى أصبحت مقطوعة كليا الآن بعد كابوس واشنطن ـ نيويورك .

جـ) نقلت جريدة (ديلى ميل) البريطانية أن الرئيس الحالى جورج بوش أسس شركة تغطية مع سالم بن لادن أحد إخوة أسامة بن لادن ، وهى شركة (أربوستو أزجى أوبل كومبانى) فى تكساس وقد لقى سالم بن لادن مصرعه فى عام ١٩٨٣ م فى تكساس حينما تحطمت طائرته الخاصة .

ء) ووفقا لمصادر أخرى ـ فإن مالايقل عن ألفى أمريكى مسلم وعربى ـ قضوا : (ماتوا) بسبب ارتطام الطائرتين ببرجى مركز التجارة الدولى ، وهو أمر يدعو إلى التساؤل عما إذا كان مسلمون متطرفون أو مهوسون أو متشددون أو منتقمون أو أى مسمى آخر وراء هذه الأحداث ـ كما تقول إدارة التحقيقات الفيدرالية ـ فهل غاب عن بال المنفذين المسلمين الخوف على هؤلاء ـ وهم مسلمون مثلهم ـ طالما أن القصد الانتقام من الأمريكيين غير المسلمين ؟؟

هـ) وهناك من يسأل عما إذا كانت مصادفة أن يتواجد أحد رجال الإعلام فى اللحظة التى ارتطمت بها الطائرة الثانية بالبرج قبل لحظات من الحادث وبيده كاميرا جاهزة ومعدة للتصوير .. والأغرب من ذلك كله : الكيفية التى أمكن بها نقل صورة تلفزيونية حية لأطفال فلسطين فى مناطق السلطة الفلسطينية ، وهم يظهرون ابتهاجا يوحى بأنه رد فعل للأحداث فى وقت يمكن أن يكون فيه تاريخ التصوير سابقا للحدث ومرتبطا بإحدى المناسبات الوطنية ؟ من يدرى ؟؟

ونقول فى أسى مرير :

متى كانت واشنطن التى زكم الغرور والاستعلاء أنفها تصغى لصوت الحق والمنطق ، إذ كيف يصغى من به صمم . وكيف يستجيب من لا عقل ولاضمير له ؟ إن واشنطن بعد أن توارى منافسها .. الاتحاد السوفييتى من مسرح الحياة لم تعد تعترف بالعالم كعالم بشرى ، بل كغابة يأكل القوى فيها الضعيف ، ويفترس فيها حامل السلاح الأعزل من السلاح .

وعلى نفس المستوى المتدنى تسير تل ابيب ربيبة واشنطن عربدة ووقاحة وبلطجة مع اختلاف فى قدر المساحة ، فواشنطن ترى العالم كله غابة وهى أسد عرينها .. وتل أبيب حولت المنطقة العربية إلى غابة فى حرسة قردة وخنازير ، وأصبحت شهيتها المفضلة أن تذل العرب وتجردهم من عمائمهم ، ويستبدل أحدهم الطرحة بالعمامة أو العقال .

• وعودا على بدء :

إن واشنطن التى نصبت نفسها شرطيا دوليا وحيدا بلا منافس قد أغلقت عينيها ، وأصمت أذنيها ، ختم الله على قلبها وسمعها ، وجعل على بصرها غشاوة ، فهى لاترى إلانفسها ، ولاتسمع إلا قولها ، تعتقد منطق القوة ، وتسخر من منطق العقل ، وحتى يتأكد لدى القارئ أننا لانلقى الكلام على عواهنة ، نسوق إليه ماكتبه من واشنطن جان ميشال ستوليغ للمشاهد السياسى اللندنية العدد الصادر فى الثانى من سبتمبر الماضى ، تحت عنوان :

« بعد عقد من انهيار الأتحاد السوفيتى : الولايات المتحدة : عملاق مفرط القوة العسكرية والاقتصادية وسط عالم من الأقزام .

يقول الكاتب :

فى الأجندة الأمريكية : ليس أحد هناك ـ على الإطلاق اليوم بدرجة حليف ، وإنما هناك تابعون ، فقد نجحت واشنطن بالاقتصاد ، وباستخدام ورقة التفوق العلمى والعسكرى فى توسيع الهوة بينها وبين الآخرين إلى درجة تجعل من الصعب ـ وعلى المدي القريب على الأقل ـ اللحاق بأمريكا «رونالد ريجن » وليس بأمريكا « ببل كلينتون » و « جورج دبليو بوش » فهى ـ أى الولايات المتحدة ـ فى مرحلة الغنى الفاحش والقوة المفرطة والتفوق الذى لاسابق له ، فى عالم بات فيه الجميع عداها أقزاما .يقول : إيفودالدر الاختصاصى فى الأمن القومى الدولى فى مؤسسة « بروكينج » !

« مهما يكن من أمر ـ فإنها مأساه أن ترى حتى الآن ـ آلاف الصواريخ فى الوقت الذى لم يعد هناك نظام يقف فى وجه الرأسمالية الأمريكية فى العالم ،وبعد عشر سنوات من النمو الاقتصادى ـ لاتزال الولايات المتحدة

الدولة المتفوقة اقتصاديا وتكنولوجيا ، والتى تنشر قواتها فى العالم بأسره تنفق بميزانيتها العسكرية البالغة تقريبا ٣٣٠ مليار دولار « ١٠ فى المائة عام ٢٠٠٢ م » أكثر من مجموع الدول الثمانى التى تأتى بعدها بحسب ما ذكرته صحيفة نيويورك تايمز .

بل إن إيفود الدر الذى كان مستشار للأمن القومى فى عهد الرئيس بيل كلينتون ـ اعتبر أن واشنطن تعتبر نفسها معرضة للخطر من قبل بلدان صغيرة ـ كالعراق أوكوريا الشمالية » وهى تبدو مهووسة بمنظومة الصواريخ المضادة للصواريخ . ورأى مايكل ماكفول : أن الشكوك التى تنتاب الدول إزاء الولايات المتحدة أمر طبيعى إذ كيف يمكن التعامل مع قوة عظمى ، لاتستطيع أن تفى بالتزاماتها ونقول : إذن فالسلاح يحكم العالم تجاره .بل إن تجار السلاح ليس من مصلحتهم السلام أى سلام ، وإذا كان هؤلاء التجار بلا قلوب وبلا ضمائر فإن قادة العالم الكبار وفى المقدمة ساسة الولايات المتحدة ـ كذلك ـ بلاضمائر وبلاقلوب وبلا مشاعر وقد جفت كل ينابيع الرحمة فى نفوسهم .

ميزانية السلاح فى الولايات المتحدة ٣٣٠ مليار دولار والمجاعة فى الدول الفقيرة تقضى فى كل لحظة على عشرات ومئات وآلاف جوعا ، ورغم ذلك فإن مبيعات السلاح كلها تقريبا تتجه إلى هذه الدول النامية الفقيرة وبخاصة منطقة الشرق الأوسط لمصلحه تقدمها إسرائيل للدول المصدرة للسلاح ، هذه الدل وبخاصة أمريكا ـ حريصة على وجود إسرائيل مشاكسة فى المنطقة لتجبر دولها على شراء السلاح .

لقد نجحت أمريكا فى أن تصور لدول الخليج إيران « بعبعا » يهددها بمطامعة ، ونجحت إيران فى هتك سياسة واشنطن ، بعد أن جعلت العلاقات بينها وبين دول الخليج على خير مايرام ، ولم يبق أمام واشنطن وتوابعها من دول أوروبا مصدرة السلاح إلا أن تبقى على إسرائيل .

فى تحقيق من واشنطن للمشاهد السياسى ـ نفس العدد السابق ، تحت عنوان : « منطق القوة يعطل قنوات الحوار » !

فى عام ٢٠٠٠ م : باعت روسيا أسلحة بقيمة ٧,٧ مليار دولار ، ثم فرنسا ٤,١ مليار ثم ألمانيا ١,١ مليار ، ثم بريطانيا ٦٠٠ مليون دولار ، والصين ٤٠٠ مليون ، وإيطاليا ١٠٠ مليون دولار ، وتباع الأسلحة بشكل خاص إلى بلدان الشرق الأوسط التى تحصل على نصف الدبابات والطائرات المقاتلة والسفن والمروحيات أو المدافع الى تباع وخصوصا من الولايات المتحدة .

* * *

● ونعود من حيث بدأنا :

إن واشنطن التى زكم الغرور أنفها ، تواجه المشكلات بمنطق القوة والبلطجة لا بمنطق الحكمة والتروى والعدل ، إن ما أصاب هيبتها من ضياع ، وكرامتها من مهانة بسبب أحداث الثلاثاء المشئوم ، جعلها تتخبط خبط عشواء ، وتتوهم بأن اتهام العرب المسلمين ، واعتبار أسامه بن لادن كبش الفداء ـ قبل أن يبدأ التحقيق ـ سوف يعيد إليها ـ ولو أقل القليل من هيبتها وكرامتها ... وإليك ما جاء فى المشاهد السياسى (٢٣ / ٩ / ٢٠٠١)

● أعلن مسئول فى مكتب التحقيقات الفيدرالى : أن لائحة الأشخاص المطلوبين من قبل الشرطة الفيدرالية الأمريكية فى إطار التحقيق تضم أكثر من ١٥٠ شخصا ، عسى أن يكون فى حوزتهم معلومات مفيدة للتحقيق ، وقد أضيف فى الأحد الماضى خمسون اسما ـ على الأقل ـ إلى لائحة المطلوبين ولاتعتبر هؤلاء الأشخاص مشبوهين .

● أكد المواطن السعودى ـ عبد العزيز المعمرى الذى ورد اسمه فى لائحة الخاطفين الـ ١٩ التى قدمها مكتب التحقيقات الفيدرالى (إف . بى . آى) أنه كان فى مقر عمله فى الرياض عند وقوع الانفجارات وذكر فى حديثه إلى جريدة الشرق الأوسط أنه فقد جواز سفره عام ١٩٩٥ فى دنفر ولاية كولوراء الأمريكية .

* * *

فى « صوت الأزهر » فى الثامن والعشرين من ديسمبر الماضى ، عرض كتاب يحمل عنوان : « الدولة المارقة » كتاب يزيح الستار عن وجه أمريكا الحقيقى .. والكتاب الذى صدر مؤخرا هو لكاتب أمريكى - وليام بلوم - مسئول وزارة الخارجية السابق ، قام بعرضه والتقديم له الأستاذ قاسم خير الله .

وتحت عنوان : « أمريكا والإرهاب » ناقش المؤلف علاقة أمريكا بالإرهاب الذى أصبح هاجسا عالميا بفعل الحملة الأمريكية ، ضد ما يسمى بـ « الإرهاب الدولى » فالواقع يقول : إن الحرب التى تشنها أمريكا ضد الإرهاب محكوم عليها بالفشل .. هذا الحكم يمكن استنتاجه من أقوال عدد من السياسيين والمفكرين الأمريكيين ، ومن بين هؤلاء ساندى بيرجر مستشار الأمن القومى الأمريكى السابق فى عهد (بيل كلينتون) فقد قال ردا على سؤال - بعد تفجيرات السفارتين الأمريكتين فى نيروبى ودار السلام فى السابع من أغسطس ١٩٩٨م : « إنه يعتقد أن الشعب الأمريكى فى حاجة إلى أن يعرف أننا نعيش فى عالم سنكون فيه مستهدفين لسببين !

قيادة أمريكا « للعالم » لدرجة ، ثم لسبب تعصب بعض الناس لدرجة ما .. أيضا .

أما توماس فريدما الكاتب فى صحيفة نيويورك تايمز - فيرى أن الإرهابيين ليس لديهم برنامج إيديولوجى ، أو مطالب محددة ، فهم مدفوعون بكراهية عامة للولايات المتحدة وإسرائيل وللأعداء المفترضين للإسلام

ويعقب المؤلف :

إن ما يجهله الزعماء والمعلمون ، هو أن هؤلاء الإرهابيين - مهما يكونون - كائنات بشرية لها عقول ، ويوجد فى أذهانهم مبررات عقلانية لأعمالهم ، فمعظم الإرهابيين يساورهم قلق بالغ إزاء مايرون أنه ظلم اجتماعى وسياسى ودينى ، ونفاق يحمل نفس الصفات ، ولذا - فإن الأسس التى يبررون بها الإرهاب ، هى - غالبا - الانتقام ردا على عمل ما ، قامت به الولايات المتحدة ، ويؤكد المؤلف :

ولوبدأنا من بداية الثمانينات ، فهناك قائمة من الأعمال الأمريكية يمكن

أن تحول أى عربى أو مسلم إلى متعصب ثم إلى إرهابى أو منتقد الولايات المتحدة بصفتها : الشيطان الآخر .

وضرب المؤلف أمثلة لجرائم الولايات المتحدة :

- إسقاط الطائرتين الليبيتين فى عام ٩٨١ .
- قصف بيروت فى عامى ٨٣ و ٨٤ .
- قصف ليبيا في عام ٨٦ .
- قصف السفينة الإيرانية وإغراقها فى الخليج فى عام ٧٨ .
- إسقاط طائرة ركاب مدنية إيرانية أيضا فى عام ٨٨ .
- إسقاط طائرتين مدنيتين ليبيتين أخريين فى عام٨٩ .
- القصف الشامل للشعب العراقى فى عام ٩١ .
- قصف السودان وأفغانستان بالصواريخ فى عام ٩٨ .
- ثم الدعم القوى المستمر لإسرائيل برغم تصلبها وغطرستها وممارستها التعذيبية المستمرة ، وإدانة المقاومة العربية لهذا السلوك ، والمعايير المزدوجة فى التعامل مع الإرهاب الإسرائيلى ، ومن أبرز الأمثلة على هذا الإرهاب : المذبحة المروعة التى سقط فيها ١٠٦ لبنانين فى قاعدة للأمم المتحدة فى قانا عام ٩٦ .
- هذا وتضم قائمة السلوك الأمريكى ضد العرب والمسلمين ـ أيضا ـ استمرار عقاب ليبيا لمدة عقدين من الزمن ، واعتقال الرجال المطلوبين من دول مسلمة كماليزيا وباكستان ولبنان وألبانيا .

* * *

- ومازال العرض مستمرا :

مازلنا مصرين على أن الأرهاب مازال ولايزال وسيظل قيْد البحث إلى ما شاء الله : وليس هذا راجعاً إلى مشكلة ولا أبا الحسن لها ، ولكن كما يقول الإمام الغزالى ـ رحمه الله : « ليست المشكلة فى حلها ، بل فى

قبولها ، والدعوة إلى عقد مؤتمر لوضع تعريف للإرهاب يقره الجميع ويعملون بمقتضاه ـ هى دعوة جديرة بالتقدير ، ولكن العقبة الإتفاق على التعريف ، وإذا فرضنا تجاوز هذه العقبة فمن يضمن أن يعمل الجميع بمقتضاه ؟

وقد يقال : إن المؤتمر دولى فى ظل هيئة الأمم ، ونقول : إن هيئة الأمم لم تعد أهلا للضمان ، ومجلس الأمن فيها مكبل بـ « حق الفيتو » لدول خمس ، والذى يحقق لها رغباتها التى تتفق مع مصالحها .. بل إن مبادئ هيئة الأمم وقراراتها حبر على ورق ـ كما يقولون ـ وإذا قدر لهذه المبادئ والقرارات أن تطبق ، فإنما لحساب الدول الكبرى ـ وفى مقدمتها : الولايات المتحدة ، التى حولت العالم إلى غابة هى أسد عرينها .

أمريكا تعتدى على السودان وعلى أفغانستان وعلى ليبيا ، وإسرائيل تعربد فى المنطقة تحتل لبنان سنوات ثمانى ، وماتزال تحتل الجولان بسوريا منذ أربع وثلاثين سنة وتدمر المفاعل الذرى ببغداد ، وتضرب مخيمات اللاجئين فى تونس العاصمة وتمارس حرب الإبادة على شعب فلسطين وتخرج لسانها لهيئة الأمم ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية والرأى العام العالمى .

أجل : من المحال الاتفاق على صيغة موحدة للإرهاب لأن كلا إنما يفسره ، بما يتفق مع هواه ومصلحته : أمريكا من منطلق قوتها وغرورها وغطرستها ، تعتبر من لايدين بالولاء لسياستها إرهابيا ، وإسرائيل تعتبر كل مدافع عن أرضه وكرامته وكيانه إرهابياً ، وتعتبر المعتدى على الغير دفاعاً مشروعا عن النفس ، والحاكم المستبد المتسلط يعتبر كل معارض له ولو بلسانه ، بل ولو بنيته إرهابيا .

ومعذرة للقارئ مع هذه الاستراحة :

منذ سنوات عدة ، صدر لصلاح نصر رئيس المخابرات فى العهد الناصرى كتاب يتيم ، وكتب الأستاذ الصاوى فى الأخبار يقول : إنه قرأ كتاب الأستاذ صلاح نصر رئيس المخابرات وتأكد له أن رئيس المخابرات كان يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » وكنت فى زيارة للكاتب الأديب الأستاذ

محمد فهمى عبداللطيف المحرر بالأخبار فرأيته منفعلا بسبب ما قاله الصاوى ، وكان الأستاذ محمد فهمى عبداللطيف يكتب يومية خاطرة بتوقيع « المتوكل » وجاء فى آخر خاطرته : إذن فالله وحده هو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » ولم تمض ساعات على ظهور الجريدة حتى كان الكاتب الأديب ـ رهن التحقيق معه !!

ومعذرة ثانية للقارئ مع هذه الاستراحة :

لعل القارئ يذكر قبل رحيل السادات كلمات الشيخ محمد متولى الشعراوى فى مجلس الشعب : « لو كان الأمر بيدى لاعتبرت السيد الرئيس فى مرتبة الذى لايسأل عما يفعل » .

كنت فى طريقى إلى الكويت ، وسئلت فى مقر مجلة .. « المجتمع » عما قاله الشيخ الشعراوى فأكدته وطلب منى أن أعلق على قوله ، وأحليت لى الصفحة الأولى وكتبت « الشيخ الشعراوى الذى هوى » وسقت عبارته ، ولكن أسفت بعد ذلك ، فالشيخ ـ رحمه الله ـ كان من الذكاء بحيث يعنى مايقول ، فقد مدح الرئيس السادات بما يشبه الذم .

ما أكثر ما كتب عن «الإرهاب » ولكن كل ما كتب كان عن أشكال الإرهاب وسلوك مرتكبيه ، لاعن جذوره ودوافعه المبررة لارتكابه ومن المشروع والمسلم به من منطوق العدل قوله تعالى :﴿ **وإن عوقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به** ﴾ ومثل هذه المعايير لا اعتبار لها اليوم ، ورحم الله الزعيم سعد زغلول باشا كان من ضمن كلماته «إن الناس إذا رأوا الظالم يظلم ، والمظلوم يبكى ، قالوا للمظلوم : لم تبكى ؟ ولم يقولوا للظالم لم تظلم ؟

ورحم الله عمرو بن عبيد التابعى الجليل .. مر بجماعة عكوف ـ حول رجل ـ فسأل : ما هذا ؟ قالوا : سارق تقطع يده » فقال : لاإله إلا الله : سارق السر يقطعه سلرق العلانية » !

إن واشنطن تفضح نفسها وهى تشعر بذلك ـ من منطلق الحديث النبوى .. « **إذا لم تستح فاصنع ماشئت** » حين تضع فى قائمة « الإرهاب » جماعة حزب الله فى لبنان ، وحركة حماس الإسلامية ، وجماعة الجهاد الإسلامى فى فلسطين ، ومجاهدى الفلبين المسلمين ، وتبرئ من ساحة

« الإرهاب » الأحزاب الإسرائيلية التى رضعت من ثدى الإرهاب ، ولها مكان مشهور فى تاريخ المجازر البشرية ، واغتصاب النساء وبقر بطون الحوامل والتمثيل بجثث القتلى الشهداء بلا استثناء للنساء والأطفال والشيوخ ، بل وحتى الأجنة التى تستخرجها من بطون الحوامل بعد بقرها .

فى عدد « أخبار اليوم » الصادر فى الثالث من نوفمبر الماضى ، مقال للكاتبة الجيدة الأستاذة مها عبدالفتاح . مقال يحمل عنوان : « الحرب فى أفغانستان حين يخلع عنها النقاب »

قالت الكاتبة :

مانريد أن نقوله هو : أننانحن ـ الغليظى المخ ، الخفيضى الفهم ، القليلى العقل ، لوصدقنا أن الإرهاب والإرهاب وحده ، هو بغيتهم وأنه الهدف والمراد من ثن الحرب على العباد ، فلا تستخفوا بعقولنا أيها الأمريكيون .

نبدأ باستعادة ملاحظة ـ ريتشارد تشينى ـ نائب الرئيس الأمريكى عندما كان يترأس إحدى شركات البترول الكبرى عام ١٩٩٨ م عندما قال « إنه لايتذكر موقعا برز على نحو استراتيجى هائل ومفاجئ كمثل ما برزت منطقة قزوين . وكأنما حدث هذا بين ليلة وضحاها .. ولكن البترول ، ولا الغاز فى تلك المنطقة له قيمة بغير نقله إلى حيث المستهلكين ثم ليس غير أفغانستان أمامه طريقاً أكثر معقولية لامن حيث الاقتصاد أو الجغرافيا ولا السياسة أيضاً . »

والحكاية من البداية كما تقول الكاتبة ـ أن على الحدود الشمالية الغربية لأفغانستان تقع تركماستان التى هى ثالث أكبر مستودعات الغاز الطبيعى فى العالم ، هذا إلى غير احتياطها البترولى ،ويقدر بنحو ستة مليارات برميل ـ أى مايفي باحتياجات السوق الأمريكية من الطاقة لمدة ثلاثين عاما قادمة .

وتضيف الكاتبة الموفقة دائماً :

ولسنا فى حاجة إلى التدليل على مدى الاهتمام الذى توليه أمريكا للبترول ذلك ، والذى يجعلها تضعه على رأس قائمة أولويات مصالحها

الحيوية وأمنها القومى ، والذى يجعلها على أتم الاستعداد أن تحميه بكل سبيل ووسيلة ، أم عمل يوجد من يظن أن تواجدها العسكرى فى الخليج يعود مثلا إلى حرصه على الحفاظ على حقوق الإنسان .

وتزيد الكاتبة المسألة إيضاحاً :

إن نقل البترول خلال إيران بواسطة الأنابيب هو إثراء لنظام حكم يعاديها ، أما نقله بالأنابيب من خلال أفغانستان ، فهو يحقق لها هدفين معاً .

أولهما ـ تعدد مصادر الطاقة .

والآخر ـ أن تخترق أكبر الأسواق المربحة حاليا فى عالم اليوم

ونقول نحن :

كم كنا نود أن يفهم العرب والمسلمون ما يدور خلف الستار ، فأمريكا خططت لعدوان العراق على الكويت ، لتكون لها قواعد عسكرية فى منطقة البترول فى الشرق الأوسط تدفع الشعوب العربية والإسلامية تكاليفها ، ومرحبا بها ، بل ومتمسكا بها ملوك المنطقة وأمراؤها .

وأمريكا استغلت أحداث الثلاثاء وشنت حربا على أفغانستان متعمدة، برغم أن من المتهمين أشخاصا من دول أخرى ، وذلك لكى يتيسر لها غرس قواعد عسكرية فى مناطق البترول فى آسيا الوسطى وكلتا المنطقتين آهلة بالمسلمين .

إن واشنطن ضليعة فى خلط الأوراق ، ففى تحقيق لمحرر الشئون الاستراتيجية بمجلة «المشاهد السياسى» اللندنية (٢٣ / ٩ / ٢٠٠١ م) منذ اللحظة الأولى لم يتردد أركان الإدارة الأمريكية ، وفى مقدمتهم الرئيس بوش فى وصف ماتعرضت له الولايات المتحدة من هجمات ـ بإعلان حرب لابد من الرد عليه بإعلان حرب مماثلة ، كما تحدث هؤلاء المسئولون ـ كوزير الخارجية الجنرال كولن باول ووزير الدفاع السيد ـ رونالدرو مفيليد ونائبه السيد بول ولفوفيتر بتعابير صريحه عن طبيعة الحرب المضادة الى عقدت الولايات المتحدة العزم على شنها على منفذى الهجمات الانتحارية، ومن يوفر لهم الدعم والمأوى.

ويضيف المحرر :

وتضمنت هذه التعابير التى كرسها ـ فى وقت لاحق الرئيس بوش نفسه في تصريحات متتالية ، ما يمكن اعتبارها بمثابة رسائل موجهه إلى كل من الرأى العام الأمريكى الداخلى ، وكذلك إلى المجتمع الدولى عموما ، وبقدر ما كانت تهدف ـ على الأرجح ـ إلى إبلاغ من يهمه الأمر ، أى خصوم وأعداء السياسة الأمريكية فى العالم بما تعتزم الولايات المتحدة القيام به ردا على الهجمات التى استهدفتها .

ولأول مرة ـ كما يقول المحرر ـ منذ زمن بعيد ـ تضمنت التصريحات الأمريكية الرسمية .. تعابير مثل : إنها « بيرهاربور » ثانية فى إشارة إلى الهجوم الجوى المباغت الذى شنه اليابانيون على قاعدة « بيرل هاربور » الأمريكية فى جزر هاواى خلال الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤١م والذى أسفر آنذاك عن دخول الولايات المتحدة رسميا إلى تلك الحرب ، ومن ثم استخدامها الأسلحة النووية ضد مدينتى هيروشيما ونجازاكى فى اليابان عام ١٩٤٥م

ونقول نحن :

إن واشنطن انتقمت بعد مرور أربع سنوات ، برغم إعلان اليابان عن استسلامها فى ١٤ من أغسطس عام ١٩٤٥م وماسبق أن ذكره محرر «المشاهد السياسى » إن دل على شئ فإنما يدل على عزم واشنطن على أن تعيد إلى الأذهان عصر الفتوات القريب ، وعصر الغابة البعيد ، وفى العصرين لم يكن هناك مكان للقوانين والأعراف الدولية .

كان عنوان التحقيق : « النسر النبيل » يحاول استعادة هيبة أمريكا المفقودة ونقول : لقد أخطا المحرر فى اختيار العنوان ، فأمريكا قد تكون نسرا بقوتها ، ولكنها محال أن يكون هذا النسر نبيلا !!

فى عدد « المشاهد السياسى » اللندنية الصادر فى الثلاثين من سبتمبر الماضى .. اعتبر الرئيس اليوغسلافى فويسلاف ـ أن أمريكا سبب الإرهاب ! فى مقابلة مع صحيفة « بوليتيكا » مؤكدا أن السياسة التى تنتهجها الولايات المتحدة هى سبب الإرهاب وقال : أعتقد أن زيادة وتيرة الإرهاب ،

ناتج عن سياسة إدارة الرئيس بيل كلينتون الذى خلق الفروقات بين مختلف الحضارات فى العالم .

وأضاف : إن إدارتى كلينتون أدت إلى صراع بين الحضارات بلعبهما دور الشرطى فى العالم وسعيهما إلى الهيمنة ـ تقريبا ـ على جميع المجالات فى العالم . »

هذا وفى نفس عدد « المشاهد السياسى » تحت عنوان « الضوء الأخضر لقتله » : أقر بيل كلينتون بأنه سمح باعتقال بن لادن ـ وقتله ـ إن لزم الأمر عندما كان رئيسا للولايات المتحدة وأنه أجرى ـ فعلا ـ اتصالات بمجموعات فى أفغانسان للقيام بذلك ـ مشيرا إلى أن هذه المحاولة فشلت » .

وأكد كلينتون أمام صحفيين فى نيويورك ، أنه أعطى الضوء الأخضر لتنفيذ هذه العملية ضد الملياردير سعودى الأصل بعد الاعتداء على السفارتين الأمريكيتين فى نيروبى ودار السلام عام ١٩٩٨م وحملت الولايات المتحدة بن لادن مسئولية ذلك . . لقد قمنا بكل ما فى وسعنا وكل ما رأيته مناسبا .

وقال كلينتون : إن حكومته بدأت بتدريب مجموعات كوماندز لشن هجوم برى محتمل للقبض على بن لادن أو قتله ، لكنه لم يحصل على المعلومات اللازمة من بعض أجهزة الاستخبارات ، ودعم بعض الحكومات التى تلعب دوراً أساسياً على الصعيد الدولى ولم يعط مزيدا من التفاصيل .

ونقول : إن الوصف الذى يليق بالولايات المتحدة . هو أنها دولة العصابات والكاوبوى !

* * *

فى تحقيق أجراه صبحى مجاهد على صفحات « صوت الأزهر » العدد الصادر فى التاسع من نوفمبر الماضى ، يوضح المستشار طارق البشرى أن تسليم بن لادن ، لا يحل الشكلة الأفغانية ، لأن أفغانستان إذا سلمت «بن لادن » ستطلب منها أمريكا أن تسلم آخرين ، وهكذا طلب سيتلوه طلب آخر ، فالمسألة ليست « بن لادن » ولكن المقصود من كل ذلك هو محاولة

إيجاد قاعدة أمريكية فى هذا المكان أى وسط آسيا حتى تستطيع أمريكا السيطرة على مصالح الدول الكبرى : الصين وروسيا وإيران فالأمر سياسى بحت ، يتعلق بكيف يمكن إكمال الهيمنة الأمريكية على العالم كله ، والوسيلة هى : التعلل بأسامة بن لادن .

ويضيف المستشار طارق البشرى :

والدليل على ذلك أن أمريكا استطاعت من قبل استغلال ماجرى فى البلقان وأوجدت لها قدما فى هذه المنطقة ، كما استغلت ما حدث فى الخليج وجعلت لنفسها سيطرة عسكرية على المنطقة وتحكمت فى سير المصالح عبر الدول العربية .

أما الأستاذ رجائى عطية المحامى :

فيرى أن تسليم « بن لادن » لايجوز شرعا ولاقانونا ولايتفق مع الأعراف الدولية والقانون الدولى ، لأن ماتتهمه به أمريكا يحتاج إلى توثيق وأدلة فإذا ما استقامت الأدلة التى تدين بن لادن فإن القواعد الدولية تنص على أن تكون هى المسئولة عن محاكمته وليس أى دولة أخرى ، ومع ذلك فإنه بالنسبة للحساسيات التى قد تنشأ عن اعتبار أن للمواطن بلدا ذات توجه سياسى معين يتشكك معه فى أن تفصل فى دعوى الاتهام بالحق فإن السابقة فى موضوع « لوكيربى » الذى ارتضاه المجتمع الدولى ، تحت ضغوط أمريكا نفسها وبريطانيا ومن دار فى فلكها اتجهت إلى إتمام المحاكمة فى بلد محايد وبالتالى فلا محل على الإطلاق لطلب الولايات المتحدة الأمريكية لمحاكمة « بن لادن » فى أمريكا ، ولكن يجب عليها أن تقدم للمجتمع الدولى أدلتها على أن « أسامة بن لادن » ارتكب ماحدث فى نيويورك وواشنطن ،وفى هذه الحالة سنكون معها ـ ليس فى تسليمه ولكن فى محاكمته محاكمة عادلة تتوافر فيها وسائل الدفاع أمام القضاء ولعل هذا أفضل من الإمعان فى التدمير وقتل النساء والأبرياء .

وأما الأستاذ إدوارد غالى المستشار بهيئة قضايا الدولة ، فيرى أن الحل التى تصر عليه الولايات المتحدة : تسليم « بن لادن » حيا أو ميتا حل غير منطقى فعند القضاء على « بن لادن » سيظهر ألف « بن لادن » آخر فالمشكلة

الحقيقية التى تهرب منها أمريكا ـ هى البحث عن الأسباب التى أفرزت «بن لادن» وأمثاله .

وتؤكد د . آمنة نصير العميد السابق لكلية الدراسات الإسلامية بالإسكندرية ـ أن مايدور فى ساحة أفغانستان أمر يدعو للعجب فإن أمريكا مازالت تصر على أن « ـن لادن» هو الذى ارتكب العملية ، دون أن تقدم دليلا واحدا .. أما إذا كانت المسألة تصفية حساب وإرضاء شعب جريح من حوادث إرهابية والقصاص من الجناة وتقديمهم للمحاكمة فهنا يصبح تسليم « بن لادن» أمراً مقبولا .. إذا ثبتت إدانته إلا أن الواقع المرير يؤكد أن الانتقام الآن يأتى ضد شعب أفغانستان وهو شعب جائع وفقير .

كما يؤكد د . إبراهيم الدسوقى أباظة ـ الخبير السياسى وعضو الهيئة الوفدية لحزب الوفد ـ أن القول بتسليم « بن لادن» سينهى الحملة العسكرية التى بدأتها أمريكا وسعت إلى جمع أكبر تأييد لها لاستمرارها هو قول هزيل ، وليس له موقع من الصحة فالقضية ليست تسليم « بن لادن» أو عدم تسليمه . لأن الهدف من الحملة الأمريكية أكبر من السعى وراء شخص أو حتى أشخاص معينين والقبض عليهم .. فأمريكا تريد إيجاد كيان لها فى وسط آسيا تهدد من خلاله دولا كبرى ، ونظام طالبان يعلم جيدا أن الطلب الأمريكى بتسليم « بن لادن» هو مجرد حجة واهية ، بدليل أنهم طلبوا أدلة إدانته .. ليسلموه إلى جهة محايدة لمحاكمته ، ورفضت أمريكا .

ويضيف د . إبراهيم الدسوقى أباظة .

إن العمليات العسكرية التى تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية لن تنتهى بتسليم « بن لادن» وإن هذه العمليات حتى وإن انتهت من أفغانستان إلا أنها ستنتقل إلى دول أخرى وذلك لاستكمال الخطة الأمريكية من فرض السيطرة على أماكن جديدة تزيد من قوة أمريكا ، وفى الغالب أنها تريد أن تستحوذ على مناطق البترول فى العالم ، وعلى الأخص المنطقة العربية ، وبالتالى : يصبح على الدول العربية أن تتخذ موقفا حاسما تجاه ما يحدث حتى لاتقع ضمن قائمة الحملة التى تشنها أمريكا

بدعوى الإرهاب .

ورأى القانون الدولى ، يقول الدكتور عبدالغنى محمود أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر .

إن « بن لادن » إذا تم اعتباره كمجرم ، فإن تسليمه ـ وفقا لقواعد القانون الدولى ـ سلطة تقديرية للدولة المطلوب منها التسليم ، وهذه السلطة تعطى لأى دولة ـ سواء أكان المطلوب تسليمه من رعاياها أو من غير رعاياها . . فأفغانستان وفقا لقواعد القانون الدولى لها السيادة على كل من يعيش فوق إقليمها من مواطنين وأجانب ، وبالتالى لايمكن إجبارها على التسليم وإلا كانت الدولة غير مستقلة وغير مكتملة السيادة ، ولما كان الأمر كذلك ، فإن القانون الدولى يحسم قضية تسليم المجرمين فى أن الدول لابد أن يكون فيما بينها اتفاق على التسليم .

ويضيف الدكتور عبدالغنى محمود :

وإذا أردنا أن نطبق هذه القواعد على أمريكا وأفغانستان فإن حكومة طالبان لاتجبر على تسليم « بن لادن » لأنه ليست هناك أى أدلة على تورطه فى أحداث ١١ سبتمبر الماضى ، بل كلها ظنون وشبهات وشكوك لا ترقى حتى إلى مجرد القرينة التى تكون سببا فى تسليم متهم »

ويشير الأستاذ عبدالعال الباقورى الكاتب الصحفى :

إلى أن أمريكا عندما بدأت حملتها العسكرية على أفغانستان ، أظهرت للعالم أنها ستحارب نظام طالبان لأنه يرفض تسليم المشتبه الأول فى أحداث ١١ سبتمبر الماضى ، فى حين أن الولايات المتحدة وجدت فى هذه الأحداث فرصة من أجل إعادة موازين القوى فى منطقة الوسط الإسلامى الذى يمتد من أفغانستان إلى المغرب وهذا هو الهدف الحقيقى للحملة الأمريكية .

ويضيف الأستاذ عبدالعال الباقورى .

ويمكن القول بأنه هدف أمريكى صهيونى ، والدليل : ما أعلنه شارون عام ١٩٨١م فى محاضرة له : أن المجال الحيوى لإسرائيل يمتد من أفغانستان

إلى المغرب ، وبالتالى ، فإن مايحدث الآن ليس مصادفة ، وإنا هو تمهيد للسيطرة على المناطق الحيوية فى هذه المنطقة الغنية بالثروات البترولية ، وبخاصة أن أمريكا سيزداد احتياجها للنفط الخارجى عام ٢٠٠٥م إلى ٧٥٪ مما يعنى أنها فى حاجة دائما إلى هذه المنطقة ومن هنا فإن تسليم « بن لادن » لأمريكا غير مجد لأنه لن ينهى حشد الترسانة الأمريكية العسكرية فى وسط آسيا .

وعودا على بدء :

إن خلط الأوراق بلغ قمته فى مسألة الإرهاب لأن كلا يفسره على هواه وحسبما نقتضيه مصلحته وسبق أن قلنا : إن أيه مغامرة لإحداث انقلاب عسكرى إن كللت بالنجاح كان المغامرون أبطالا فى نظر الإعلام وبعض رجال الدين ، وإذا فشلت المغامرة وتم القبض على المغامرين كانوا فى نظر الإعلام ورجال الدين كذلك بغاة مفسدين فى الأرض يجب أن يطبق عليهم حد الحرابة الذى أشارت إليه سورة المائدة : ٣٣

﴿ إنّما جزاءُ الّذين يُحاربون اللّه ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يصلّبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلُهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ ﴾

والأنظمة المستبدة تعتبر كل معارض لسياستها إرهابيا بل تعتبر كل من لم يجاهر بتأييدها رديفا للإرهاب والعصابات التى ولدت دويلتهم من سفاح والتى يفخر رئيسها سفاح صابرا وشاتيلا شارون بنجاح سياسة اغتيالات الكوادر من مجاهدى فلسطين التى تبناها ، وليس مثيرا للدهشة أن تعتبر هذه العصابات من سلالة القردة والخنازير وقتلة الأنبياء أن تعتبر المدافعين عن كيانهم وأرضهم وأعراضهم وتاريخهم .. إرهابيين وتقرهم على ذلك واشنطن التى أصبحت تزهو برداء الكاوبوى الذى ترتضيه ولماذا لاتقر أسلوب العصابات ، وهى التى تمارسه على نطاق واسع باعتبارها أسد الغابة . ونقول مرة أخرى : إن الدعوة إلى عقد مؤتمر دولى للاتفاق على تعريف محدد للإرهاب يتفق عليه الجميع ويعملون على العمل بموادة ـ هذه الدعوة رغبة حسنة . ولكن من أين لنا أن يتفقوا على تعريف محدد للإرهاب ، وإذا اتفقوا فمن أين لنا أن يعملوا بمقتضى ما اتفقوا عليه ،

وهاهي ذى مبادئ هيئة الأمم المتحدة ، وقراراها مهملة ، وأكثر الدول استخفافا بالمبادئ والقرارات هى أمريكا التى تدعى ـ كذبا وبهتانا ـ أنها الشرطى الدولى المنوط به مكافحة الإرهاب وربيبتها والحاضنة لها .

ومازلنا مع خلط الأوراق فى المسألة الإرهابية :

فى مقال بالأهرام (٩ / ١٠ / ٢٠٠١) للدكتور ميلاد حنا ، يرى أن الإرهاب إشكالية مركبة عويصة حلها ثقافى مجتمعى .. وإن محاربة الإرهاب بالصواريخ والأسلحة والتعبئة العسكرية أمر يبدو ضروريا من الساسة والعسكريين لرعادة هيبة دولة عظمى ، وإعادة إحكام سيطرة الغرب على الكوكب .. أما علاج الإرهاب الدولى ، فهو أمر فكرى ثقافى يبدأ بقناعة مجموعات بشرية مظلومة ، أو أفراد أصيبوا بنوع من الهوس ، وأنه لاسبيل أمامهم إلا بالتضحية بأنفسهم .

ويضيف الدكتورميلاد حنا :

إن ظاهرة الإرهاب قديمة قدم الصراعات الإنسانية ، فالاغتيالات والقتل لأسباب شخصية أو عامة ونتيجة مؤامرات العصور متوافرة فى كل كتب التاريخ ، والإرهاب الجماعى الحالى فى أربعة أركان الأرض ماهو إلانوع من الفاشية أوالنازية .

وينتهى الدكتور إلى القول :

بأن قضية الإرهاب الدولى فى غاية التعقيد والتركيب ، لأنها إفراز عوامل مختلفة بعضها يحمل طابع العقيدة الدينية إسلامية أوغير إسلامية ، ولكنها متأثرة بالإحساس بالظلم والقهر فى مجتمعات يسودها الفقر والأمية والإحباط .. إننا فى انتظار أخبار الحرب . والتى ستطغى على أخبار الفكر والثقافة ، ولكن الإرهاب الدولى سوف يزداد بعد الحرب ، مالم تتم معالجة فكرية ثقافية مبدعة » .

وتعقيباً على عبارات الدكتور الأخيرة أقول :

فى محنة ١٩٦٥ م طلب من مخبر بمحطة السكة الحديد ـ رمسيس ـ أن يقدم عددا من الإخوان تمهيدا لاعتقالهم وسأل زميله : ماذا يفعل وهو

لايعرف أحداً ؟ قال له : اجلس فى مصلى المحطة ، وراقب من يواظب على الصلاة فى ميقاتها واختر منهم من شئت .

وعلى هذا الأساس اعتقلت المباحث من ينتمون إلى جماعة التبليغ وهم شباب مسلم ملتزم لاتتحاوز دعوتهم المسجد ، ولاشأن لهم بأمور السياسة من قريب أو بعيد وفى المعتقل : فى السجن الحربى أو أبى زعبل أو القلعة، نالوا من التعذيب الوحشى ، ما يفوق كل وصف .

ولك أن تتصور !

شاب فى العشرين ، يعلق كالذبيحة فى القلعة شبه عار يضرب بالسياط ، وكلما قيل له : قل إن حسن البنا كافر .. يقول بل أنتم الكفرة .. حتى فاضت روحه .

وأصبح من المؤكد أن التعذيب الوحشى الناصرى للشباب هو الذى أفرز فيما بعد جماعة .. التكفير والهجرة !!

ونقول : حين تفسر القوة « الإرهابى » فإن ذلك يكون مدعاة للسخرية من المنطق والعقل معا ، حزب الله فى لبنان وحماس والجهاد فى فلسطين حركات إرهابية لأنها تدافع عن أراضيها وتتصدى لعربدة ربيبتها إسرائيل ..

أما ما كتبه الأستاذ الكبير أحمد أبو الفتح فى مقاله الأسبوعى بجريدة الوفد (١٨ / ١٠ / ٢٠٠١) فهو دليل على أن العقلية الأمريكية قد أصابتها لوثة جعلتها تتصرف تصرف الأبله الذى يثير بتصرفه الضحك وشر البلية ما يضحك .

تحت عنوان : « بن لادن العسل لليمنيين وحرق قوت أطفال الأفغان تساءل الكاتب الكبير :

هل إنتاج العسل فى اليمن عمل إرهابى ؟

أذاعت إحدى فضائيات التليفزيون العربية أن « بن لادن » هو الذى استثمر بعض ماله لإنتاج العسل وإنتاج العسل فى اليمن هو أحد أكبر المشاريع فيها .. ولكن هذا الإنتاج الضخم ، تعتبر أمريكا إنتاجه

والاستفاده ـ إذا صح الأمر ـ من أرباحه قد صار عنصرا من أخطر عناصر سلاح « بن لادن » ـ سلاح المال . .

وقالت الفضائية :

إن من المتوقع أن تخضع إيرادات إنتاج العسل ـ تطبيقا لقاعدة اخترعتها أمريكا تقول : « إن تجميد أموال الإرهابيين ، هو أحد أسباب تجفيف منابع الإرهاب .

« فى المشاهد السياسى » اللندنية :

« الأمم المتحدة : السبيل الوحيد لمكافحة الأرهاب » على الولايات المتحدة وحلفائها إدراك مسأله واحدة شديدة الوضوح آتية من العالم العربى والإسلامى وهى : أن أى عمل عسكرى سيتخذ للانتقام من المتفجرات التى حدثت فى نيويورك وواشنطن فى ١١ سبتمبر ، يجب أن تحظى بتأييد الأمم المتحدة ، وبتنسيق من جانب هذه المنظمة الدولية .

إن الصدمة والاشمئزاز اللذين يشعر بهما العالم العربى والإسلامى بسبب المذبحة . . يوازيه قرف إزاء الطريقة التى تتعامل فيها الولايات المتحدة مع الكرة الأرضية وسكانها ، وكأن العالم مسرح يحق لها أن تقدم المسرحية التى ترغب فيها ، من دون الحاجة إلى بناء إجماع دولى .

ونوى أن واشنطن بدافع من غرورها ، قد أخرجت لسانها لهذا الرأى ،ولها الحق فى ذلك لوثوقها من أن العالم العربى والإسلامى : الأنظمة لا الشعوب ـ اضعف من أن تناقض أى سلوك تمارسه دولة العصابات وهذا ماحدث .

إن دولة العصابات ترى أنها أعلى وأجل من أن تعتبر ، لقد أعماها غرورها وأكبر ترسانه من الأسلحة الحديثة الفتاكة تمتلكها ، وفى تحقيق بجريدة الأسبوع (٨ / ١٠ / ٢٠٠١م) أكد الأستاذ حامد محمود نائب الأمين العام للحزب الناصرى : أن الأمريكان لم يتعلموا درس ١١ سبتمبر الذى ضرب كبرياءهم وكشف مدى الكراهية التى تحظى بها فى العالم ، فقد فقدت مصداقيتها فى كل المحافل الدولية فكيف تخوض حربا بمجرد اتهام أشخاص ، بل وتصريحاتهم أمس عن ضرب دول أخرى ، من المؤكد

أنها دول عربية وإسلامية ، وفى خضم الأحداث المؤسفة وضعت حزب الله والجهاد ، وحركة حماس والجبهة الشعبية على قوائم الأحداث ؟؟

وأضاف : إن أمريكا مستمرة فى غيها وجهلها بالحقائق ، لأنها لم تلتفت مثلا لما حدث فى سياتيل ، مؤتمر جنوبى أفريقيا بشأن العنصرية ، عندما وقفت كل شعوب العالم ضدها .. لأنها تريد أن تحكم العالم برؤيتها الخاصة ، وتضع مسميات للإرهاب بما يخدم مصالح إسرائيل .

ويرى الأستاذ جمال سلطان وكيل مؤسس الحزب الإسلامى الاجتماعى تحت التأسيس أن ضرب أفغانستان سيذبح الأطفال الأبرياء ولعل أمريكا تمارس الآن أبشع أنواع الجبن السياسى ، لأنها تضرب شعبا بأكمله دون دليل واحد يدين شخصا بعينة ، بل ستزداد حالة التنظيمات المعادية لأمريكا فى العالم .

كما يرى الأستاذ أبو العلا ماضى مؤسس حزب الوسط : أن القصف الأمريكى لأفغانستان هو صورة من صور الفتوة والبلطجة التى اعتادت الولايات المتحدة ممارستها مع العالم ، وهذا القصف هو ترسيخ لشريعة الغاب فى العالم ويتساءل الدكتور ماضى :

هل يعقل أن دولة كبرى كأمريكا ـ ومعها الحلف الغربى تتحدى بلدا فقيرا وبائسا لا يملك أى إمكانيات مثل أفغانستان ؟ وهل يعقل أن يكون القاضى هو الجلاد فى نفس الوقت ؟؟

وتقول الدكتورة ملكة زرار أستاذة الفقة المقارن بجامعة الأزهر : أمريكا التى تضرب اليوم إخوتنا فى أفغانستان غداً ستضربنا وستعتدى على بقاع أخرى من العالم العربى والإسلامى ، حتى ينحنى المسلمون فى بقاع الأرض فلايعارضوا ولايهبوا لنصرة إخوانهم .

وفى حوار لصحيفة الجارديان البريطانية مع الكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل ، نقلته « الأسبوع » القاهرية فى ١٢ / ١١ / ٢٠٠١م لايرى هيكل أى منطق فى الهجوم على أفغانستان فلايوجد شئ فى أفغانستان يساوى الهجوم على أفغانستان ، وليس فى أفغانستان هدف واحد يستحق المليون دولار التى يتكلفها صاروخ كروز الذى يطلق عليها .

ولوحكمنا بالظواهر ـ كما يقول الكاتب الكبير ـ فإننى أعتقد أن

مايحدث جنون ، لذا فإننى أعتقد أن لدى الأمريكيين خطة ، وما يحدث الآن هو المرحلة الأولى منها ..

ويستبعد الكاتب نسبة أحداث ١١ سبتمبر الأسود إلى بن لادن ويعتقد أن هناك عنصرا لم يكتشف بعد . هو المسئول عن الأحداث ومهما كانت الحقيقة فإن التفسيرات التى ظهرت الآن ، كانت متسرعة وغير حاسمة ، وتتسم بالاستسهال ، فالإدارة الأمريكية رغبت فى توجيه هجماتها لعدو جاهز بهدف امتصاص غضب الشعب الأمريكى ، وكنت أتمنى لوقدموا أدلة حقيقية .. لقد قرأت بعناية ما ذكره رئيس لوزراء البريطانى تونى بلير فى مجلس العموم البريطانى ، لقد مهدوا الطريق لخطابه بأنه سوف يعلن بعض الدلائل على إدانة بن لادن وتنظيم القاعدة ، لكنه لم يذكر أى دليل وكل ما قدمه مجرد استنتاجات . لقد كان وزير الخارجية الأمريكى كولن باول أكثر إخلاصا وصدقا من أى أحد عندما ذكر : أنه حتى ولولم يكن هناك دليل يدين بن لادن فإن هذا لايهم .. لأن بن لادن ارتكب جرائم كثيرة أخرى تستوجب اتخاذ إجراءات ضده .. إن ذلك يشبه المثل الصينى القائل : « اضرب زوجتك كل يوم فلولم تكن أنت تعرف السبب ، فهى تعرفه ».

وفى « الأسبوع » العدد السابق تحقيق مهم للأستاذ أحمد عز الدين ، خطوطه الرئيسية تقول :

- أمريكا لن تحقق النصر المطلق لكنها قادرة على صنع جبال من الخراب
- الحملة على أفغانستان تعيد صياغة خريطة للمنطقة والعالم بالحديد والنار .
- القوة العسكرية الأمريكية أتاحت أمام التضخم الاسرائيلى فرصة للنمو .
- العلاقات مع أمريكا تحتاج كشف حساب جديد حتى لاتبدو مصر وكأنها تأكل على الموائد الأمريكية .
- دبابات أمريكا التى يقودها الإسرائيليون ، تكفلت بتحطيم معنويات العرب ..

كان يمكن أن نتوقف عند هذه الخطوط الرئيسية فى تحقيق الكاتب إلا أن هناك بعضا من المعانى يجب الإشارة إليها مثال :

● إن القشرة المضافة إلى الثقافة العسكرية الأمريكية خلال الحقبة الأخيرة من الزمن ـ أى منذ حرب الخليج الثانية ـ مرورا بضرب البلقان ـ ثم المشهد الراهن الدامى الذى يطل علينا الآن ،وهى استراتيجية الضرب من الفضاء تكاد أن تشبه فى أسلوبها وتوجهها ـ مع الفارق التكنولوچى الهائل ـ ثقافة البدو الرحل ، كالمغول الذين قذف بهم قلب آسيا الذليل تحت سيطرة الجفاف والجوع فى العصور الوسطى إلى محيط واسع وصل مداه إلى بوابات أفريقيا . .

● فى كل ما يحدث ثمة كسب حقيقى لوحدتين من وحدات الأقاليم ، الأولى إسرائيل ، والأخرى : تركيا ـ ذلك أن خلخلة الأوضاع فى الإقليم والضغوط المتزايدة على النظام الإقليمى العربى ـ إلى حد شرخه وتصدعه من شأنه أن يخلق مناخا أكثر ملاءمة أمام تمدد إسرائيل ، وكذلك تركيا سواء أخذ هذا التمدد صيغة مادية أو وظيفية ، كما أن من شأنه أن يخلق بيئة أكثر ملاءمة أمام تغيرها فى أوضاع الإقليم وتوزاناته .

ونضيف نحن :

إن لمثل هذه الآراء وزنا ، ولكن المأساة تكمن فى أنها لاتلقى آذانا مصغية ولاعقولا متفتحة لدى من بيدهم اتخاذ القرار من الزعماء العرب والمسلمين

فى العدد الصادر فى الرابع من أكتوبر الماضى من جريدة الخميس ـ حوار أجراه الأستاذ عمرو الليثى رئيس التحرير مع الدكتوراللواء أحمد عبدالحليم رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط .

● عمليات الثلاثاء الأسود فى أمريكا لايمكن أن يقوم بها بن لادن أوأى دولة من العالم الثالث لماتميزت به من دقة التخطيط والتنفيذ ، وإنه لايستبعد أن يكون الموساد أو أى دولة كبرى وراء الحادث .

● إن اتهام أمريكا للمسلمين بارتكاب الحادث يعود إلى السيطرة الإسرائيلية على كل شئ فى أمريكا .

● إن لحشد أمريكا قواتها لضرب أفغانستان أسبابا عديدة منها :

١) سياسى لامتصاص غضب الرأى العام الأمريكى .

٢) إن هناك تصورا أمريكيا أن العقل المدبر أسامة بن لادن وهو موجود فى حماية طالبان فى أفغانستان .

● الهند تطوعت لدعم الموقف الأمريكى ، وهذا الموقف سوف يكون له تأثير على قضية كشمير التى تمثل مشكلة بينها وبين باكستان ، كما أن ضرب طالبان سوف يؤثر على وضع كشمير ، لأن المجموعات التى تقف إلى جانب باكستان يتم تدعيمها من حركة طالبان .

وفى عدد « الأسبوع الصادر فى أول أكتوبر الماضى » كتب الأستاذ محمود بكرى يقول :

● هل يدفع العالم ثمن جبروت أمريكا ؟؟

● المخابرات الأمريكية تفشل فى « فبركة أدلة إدانة أسامة بن لادن . .

● سر تراجع الرئيس الأمريكى عن تصريحات وزير خارجيته بإعلان أدلة تورط تنظيم القاعدة .

● والأمر المؤكد :أنه لاجورج بوش ولاكولين باول - وزير خارجيته لديهما من الأدلة مايدينان بهما أسامة بن لادن أوغيره من منظمات أو أجهزة عربية أو إسلامية اثبتت المعلومات التى تسربت وعمليات ربط الأحداث أنها برئية براءة الذئب من دم ابن يعقوب

● وإزاء فشل عملية الربط تلك ، طلبت كل من الخارجية الأمريكية والبيت الأبيض من المخابرات المركزية الـ « سى . آى . إيه » التمهل فى إعداد هذه الوثيقة ، وبخاصة أن مسئولى الـ « سى . آى . إيه » يرون أن هناك فارقا كبيرا بين المقدمات والتحقيقات التى تحاول الوثيقة تضمنينها ، وبين النتائج النهائية حول مشاركة بن لادن فى هذه العملية .

ويقول الدكتور محمد سليم العوا المحامى :

● الخيال الأمريكى يستعد لحرب غامضة ضد غامض . .

● الاتهام بلابينة جريمة لاتقل بشاعة عن الجريمة الأصلية .

● لماذا لايسمح للسعودية حق محاكمة بن لادن بتهمة الحرابة ؟

ومعذرة للدكتور العوا رجل القانون :

إن بن لادن جردته السعودية من جنسيتها ، فكيف تحاكمه ؟ إنها تحاكمه إذا ثبتت إدانته في ارتكاب جريمة على أرضها وقبض عليه .. ونسأل المحامي الكبير :

إذا قدر لـ بن لادن أن يعمل عملا ضد الاحتلال الأمريكي للسعودية فهل يقام عليه حد الحرابة ولمقاومة الاحتلال الأجنبي مشروعية ؟

وكأني بالدكتور العوا مشفق على أمريكا ، وهو يقول : « إن الحرب المزعومة تقصد شخصا واحدا هو أسامة بن لادن أو مجموعة محدودة العدد من الأشخاص الذين يلوذون به ، ويشاركونه إدارة تنظيمه الخاص ، وأيا كان مصير هذه الحرب ، فإنها ستحول بن لادن وجماعته إلى رموز لمقاومه الغطرسة الأمريكية . وشهداء إذا قتلوا في الحرب للسعي من أجل تحرير الشعوب المقهورة من هيمنة القطب الأوحد .

ويبدو أن مفهوم « الحرابة » عند الدكتور العوا خاص به ، وليس المفهوم الذي قرأناه للأئمة من الفقهاء : مناهضة نظام حكم إسلامي بقوة السلاح ، ولوثبت أن بن لادن يدا في الاعتداء على القواعد الأمريكية المعادية للإسلام في أرض إسلامية فسيكون هذا مفخرة له لاتدانيها مفخرة .

إن أمريكا لاتعرف سوى الغطرسة ، أما الحياء فهي لاتجهله ولكن تعلمه وتستخف به ، ولو أن لديها ذرة من الحياء لكانت آخر من يتحدث عن الإرهاب ، لكن أسلوب الغابة يسيطر عليها مما جعلها تخرج لسانها للقانون الدولي والأعراف الدولية ، تطالب قادة الحرب في أفغانستان أن يقتلوا كل أفراد طالبان ولو رفعوا الراية البيضاء إعلانا لاستسلامهم ، وأعتقد أن قانون الغابة يترفع عن سلوك هذا الأسلوب البربري .

لقد كشفت أمريكا عن وجهها القبيح ، وحسبنا هذا التحقيق الصحفي الذي بعث به الأستاذ محمد سليمان من واشنطن إلى « الأسبوع » ونشرته

فى الخامس من نوفمبر الماضى .

● اتفاق بين الموساد الإسرائيلى ، والمخابرات المركزية الـ« سى . آى . ايه» قيادات عربية وإسلامية .

وجاء فى التحقيق :

أشارت تقارير هامة إلى أن هناك اتفاقا للتعاون السرى ، تم توقيعه مؤخرا بين وكالة المخابرات الـ« سى . آى . إيه» وجهات الموساد الإسرائيلى للقيام بعمليات اغتيالات لعدد من الشخصيات المناوئة والتي تعتبرهم الولايات المتحدة أعداء لها فى منطقة الشرق الأوسط .

وحسب التقارير فإن جهات خاصة تابعة للجهازين ، سوف تتولى تنفيذ هذه العمليات التى ينتظر أن يتم تنفيذها قريبا بعد أن صادق الرئيس بوش على اغتيال عشرة أشخاص وصفوا بالأسوء على الأمن الأمريكى . وإن قوائم الاغتيال الأمريكى تضم عددا من المسئولين العرب ، وبعض قادة التصدى الأمريكى ، وتضم لذلك الرئيس « صدام حسين » وعددا من كبار المسئولين الأمريكيين . ومساعدى بن لادن المنتشرين فى بعض الدول ، بالإضافة إلى قيادات الجماعات الدينية الإسلامية .

● أمريكا تتكتم على اعتقال أحد عشر إسرائيليا على علاقة مباشرة بتفجيرات واشنطن ونيويورك والجمرة الخبيثة .

أفادت المعلومات كما جاء فى مقال المحرر ـ أن أجهزة الأمن الأمريكية قد ألقت القبض على سبعة من الإسرائيليين فى ولاية « فلوريدا » وبحوزتهم كميات كبيرة من بكتيريا الإنثراكس التى تنشر مرض الجمرة الخبيثة ، كما عثر بحوزتهم على ١٥ خريطة لمركز التجارة العالمى و ٨ خرائط لمبنى البنتاجون و ٦ خرائط للبيت الأبيض ، حيث تكشف هذه الخرائط المواقع المذكورة من عدة جهات وتحدد المساقط الهندسية لها ووصف طوابقها .

وشملت بعض الخرائط تحديد مسارات الطائرات واتجاهاتها ، فيما حددت خرائط أخرى قوة الرياح ودرجات الحرارة ، وقد كشفت التحقيقات الأمنية الأمريكية أن هذه الخرائط تم إعدادها منذ أكثر من عامين، وإن إحداها دُوّن عليه تاريخ فبراير عام ١٩٩٩م .

وبعد يومين من إلقاء القبض على الإسرائيليين السبعة ، ألقت السلطات الأمريكية القبض على ربعة إسرائيليين آخرين فى ولاية « ألاسكا » وفى حوزتهم صور مجسمة لمحطة نووية فى « فلوريدا » وخط أنابيب بترول «ألاسكا » إلا أن السلطات أخلت سبيلهم ثم أعيد اعتقالهم بأمر من وزير الأمن الداخلى الأمريكى الذى شدد على معرفة العلاقة بينهم وبين الإسرائيليين المقبوض عليهم فى « فلورايدا » .

ووفق المعلومات كما يقول التحقيق ـ فإن أربعة من المقبوض عليهم هم من قائدى الطيران المدنى ، وإن ثلاثة منهم يعملون فى مجال المواد الكيماوية ومتخصصون فى تحليل العينات ، مما يؤكد أنهم على علاقة مباشرة بالعمليات التى شهدتها كل من نيويورك وواشنطن والهجمات المتواصلة ببكتيريا الإنثركس وكان لابد من أن تتعمد أمريكا « الشجاعة» التكتم الشديد ، فهى وإن كانت أسدا على العالم فهى نعامه أمام 'للوبى الصهيونى الذى يهيمن عليها ، أو كما يقول التحقيق :

« وفور تلقى الأجهزة الأمريكية أنباء القبض على الإسرائيلين ، صدرت التوجيهات لجهات التحقيق بإحاطة التحقيقات الجارية فى هذا الشأن بالسرية المطلقة ، فيما طلبت مستشارة الأمن القومى الأمريكى عدم الإفصاح عن الاتهامات ، حتى لو ثبتت مسئولية الإسرائيليين عما جرى . معتبرة أن شأن ذلك الإفصاح إثارة دول العالم الإسلامى التى لن تقبل اعتذار أمريكا عن قتل الآلاف من الأفغان الأبرياء وحتى لايؤثر هذا على الجهود المبذولة لتعقب بن لادن والقضاء على القاعدة ، وحركة طالبان .

وهذه هى أمريكا بلانقاب : بلاضمير .. بلا أخلاق !

إن أمريكا ـ دولة الكاوبوى ـ فى حقيقتها ـ أحط من السفاحين المأجورين المحترفين ، ومن قطاع الطرق الذين ماتت كل أحاسيسهم ومشاعرهم ، لقد ضربت بكل الآراء العالمية عرض الحائط ، تلك الآراء التى اتهمتها بالتسرع وسوء النية فى 'تهام طالبان وبن لادن وقاعدته .

إن كارلوس المقيم الآن بسجون فرنسا ـ هو أشهر إرهابى دولى فى العقود الأخيرة ، وهو فى نفس الوقت أعظم خبير فى الإرهاب ، ولذا كان لرأيه فى

أحداث الثلاثاء المشئوم أهميته .

فى مقال الأستاذ محمد سليمان الذى كتبه من واشنطن لـ الأسبوع :

طلبت الولايات المتحدة من فرنسا إعادة استجواب الإرهابى الدولى كارلوس عن تنظيم القاعدة واجتماعاته فى أوائل التسعينات ، والأشخاص ، وعن المخططات ، ومن قاموا بتنفيذها .

وأبلغ كارلوس جهات الأمن الفرنسية : إنه يستبعد أن تكون جهات دينية أو عربية وراء مثل هذا العمل » مشيرا إلى اعتقاده بأن المنظمات الأمريكية الداخلية هى الأقدر على تنفيذها هذا العمل ، وبخاصة أن هذه المنظمات ليست فى حالة انسجام مع حكوماتها ، مطالبا بأن يركز الأمريكان على منفذى تلك العمليات بدلا من ملاحقة بن لادن ، لأن منفذيها الحقيقيين ، بدأوا طريقهم وشعروا بنجاحهم ، وأن هذا الشعور يولد الثقة لديهم فى القيام بعمليات أخرى .

***

فى « المشاهد السياسى » اللندنية الصادرة فى أول سبتمبر الماضى ، حوار مثير أجراه فى لندن الأستاذ أحمد منير الإسكندرانى مع الدكتور حسن حنفى المفكر الإسلامى ، وأستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة .

بادئ ذى بدء ـ أشار المحاور إلى أن التناقض الذى يعيشه العالم ، يثير تفكير الإنسان ، ويرصده المفكر والفيلسوف والمنظر ، ليستخرج منه خطوطا تنير لنا الطريق . وصورة العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر اختلفت .

وتساءل المحرر :

هل صحيح أن مايحدث الآن هو صراع حضارات : صراع الغرب مع الإسلام ؟

وهل أصبح الإسلام متهما بالإرهاب ؟ أم العكس هو الصحيح ، والصهيونية والغرب هما الإرهاب ؟

ويرى الدكتور حسن حنفى :

أن الصراع أوالصدام ، كان نتيجة مخزون تاريخى ، منذ ظهور الإسلام واستؤنف بالحروب الصليبية ، فالإسلام هو الذى استولى على الإمبراطورية الرومانية ومستعمراتها سواء فى جنوبى أوربا أم الشمال الأفريقى .. هذا الإرث هو الذى خلق النضال والتنافس بين الحضارات التى وجدت على ضفتى المتوسط .

ولم يكن هذا التنافس ـ بالضرورة ـ بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، بل كان داخل الحضارة الغربية نفسها ، مثلماكانت هناك مسيحية مركزية رومانية تفسر الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية ، كانت هناك مسيحية وطنية فى شمال أفريقيا ..

ولم ينس الكاتب أن فلسطين كانت حلبة الصراع ـ وما تزال ـ بين الإسلام والغرب ، وهذا الصراع ،انطلق ـ أيضاً ـ من البحر المتوسط ،انتقلت أوربا إلى الشرق واحتلت سواحل الشام .. والحروب الصليبية ، وانتقل العرب والمسلمون إلى المغرب بفتح الأندلس ، كما أكد الكاتب أن الغرب يريد الآن أن يكون الممثل الوحيد للحضارة الإنسانية ونحن نقول له : لا ..

وسأل المحرر الدكتور . باعتباره صاحب مفهوم : « الإسلام الثورى : سأله توضيحاً لهذا المفهوم . قال :

هو : الإسلام السياسى » الذى قامت على أساسه الحركة الوطنية فى مصر ، والذى دعا إليه جمال الدين الأفغانى ، وتأسس به الحزب الوطنى بقيادة محمد فريد ومصطفى كامل والأفغانى « الإسلام » فى مواجهة الاحتلال فى الخارج ، والقهر فى الداخل .. هذا هو الإسلام الثورى الذى خرج منه الاستقلال العربى وعلماء الزيتونة وعلماء الجزائر .. إنه الثورة على القهر والاحتلال والاعتداء على حقوق الإنسان ! ومهما يجرى فى أمريكا .. ومهما قيل عن الاعتداءات الأخيرة ، فهى من الزاوية الأهم تعتبر عن الغضب والثورة على الوحش الأمريكى الصهيونى .

وماذا يعنى الإرهاب عند الدكتور حسن حنفى ؟

أمريكا والغرب كما يقول ـ يريدون أن يساووا بين الإرهاب والعدوان من جهة ، من جهة أخرى بين إرادة الشعوب فى الحرية ، والتحرر الوطنى والمقاومة المشروعة لكل عدوان على حقوقها وحرياتها ومصائرها ، فالإرهاب هو العدوان على حقوق الإنسان ، والسيطرة على مقدرات الشعوب وأراضيها وثرواتها .

وأضاف الدكتور :

إن جذور الإرهاب موجودة فى الغرب ، وبدون حل القضية الفلسطينية حلا عادلا لصالح الشعب الفلسطينى ، فيظل الإرهاب قائما ، وهذا الإرهاب هو ماتقوم به إسرائيل من عدوان على الحق العربى الفلسطينى . فإسرائيل هى وجود قائم على الإرهاب منذ أكثر من خمسين سنة ، وعلى مرأى ومسمع من العالم .

* * *

وماذا يقول أستاذ أمريكى معارض ؟

يقول :

- أمريكا أم المجازر .
- واشنطن وقصة غرامها الخالد مع الإرهاب .

هذا ما نشر بـ« الأسبوع » فى الثامن من ديسمبر الماضى ، والأستاذ الأمريكى المعارض هو « روبرت ميللر » .

لقد أحسنت «الأسبوع » حين نشرت هذا المقال ، وقد عهدناها دائما على مستوى رفيع من الأحداث ، وكم كنت أتمنى نشر المقال كله ، ولكن حسبنا أن نلتقط منه هذه اللقطات .

هل تملك أمريكا الحق فى أن تدين الإرهاب بينما يداها ملطختان بالدماء ؟

- فى السادس من أغسطس عام ١٩٤٥م ـ وهى عملية « الولد الصغير » ألقت أمريكا القنبلة النووية على « هيروشيما » باليابان فقتلت على الفور

١٣٠ ألف مواطن و ٢٠٠ ألف مواطن آخر على مدى خمس سنوات ، جميعهم باستثناء عشرين ألفا ـ كانوا من المدنيين ، إضافة إلى مسح ٢٥ كليومترا مربعا من الحضارة على وجه الأرض ، بعد ثلاثة أيام وهى عملية « الولد السمين » ألقت قنبلة أخرى على « ناجازاكى » فقتلت على الفور ٧٠ ألف مواطن و ١٤٠ ألفا على مدى خمس سنوات وجميعهم ماعدا ١٥٠ فردا من المدنيين .. ولم يكن هناك أى أهداف عسكرية .. هكذا تبخر خمسون ضعف من قيل : إنهم قتلوا فى مركز التجارة فى لحظة ، فإذا نسبناهم إلى عدد سكان اليابان الـ ٧٢ مليونا يومها لقلنا مائتى ضعف !!

● عند اندلاع الحرب الكورية عام ١٩٥٠ ، عملت أمريكا بنفس الطريقة الإجرامية مع للدنيين ، يومها أمر الجنرال « ماك أرثر » بتدمير كل منشأة ومصنع وقرية .. وعلى مدى ثلاثة أعوام ـ كما صرح الجنرال « كورتزلى ماى » أحرقنا كل مدينة فى شمالى كوريا وجنوبها » وقد قتل فى هذا القصف ثلاثة ملايين كورى .. وهذا يساوى ٧٥٠ ضعف عدد قتلى مركز التجارة العالمى ، وبالنسبة المئوية للسكان يساوى ٧١٢٥ ضعفا !

● فى فيتنام وكمبوديا رمت أمريكا ثمانية ملايين طن قنابل : أربعة أضعاف مارماه الحلفاء مجتمعين فى الحرب العالمية الثانية ، ٨٠٪ من هذه القنابل افترشت على مساحات مدنية ولم توجه لأهداف !

● فى الهند الصينية قتلت الولايات المتحدة من ٢ إلى ٣ ملايين بذخيرة تساوى ١٥ مرة مارمى على هيروشيما .

● فى أندونيسيا عام ١٩٦٥م قتلت أمريكا مع الجنرالات مليون مواطن بدعوى مقاومة الحزب الشيوعى .. وطفت الجثث فوق مياه الأنهار ! مجلة تايم الأمريكية وصفت مدحدث : « إنه أحسن أخبار سمعها الغرب فى آسيا » أما إدارة الرئيس جونسون ، فقد عبرت ـ كما قالت النيويورك تايمز » عن سرورها .

● بعد عشر سنوات من أحداث إندونيسيا ـ دعمت الولايات المتحدة ـ إندونيسيا فى غزو تيمور الشرقية ، بعد ٢٤ ساعة من زيارة الرئيس الأمريكى جيرالد فورد إلى جاكرتا » قتل فى الهجوم ٢٠٠ ألف قتيل .

● العراق : قتلت الولايات المتحدة بالحصار ومنع الطعام والدواء نصف مليون طفل تحت الخامسة ، وبأرقام اليونيسيف حتى عام ١٩٩٨م أما إجمالى قتلى الحصار فى نفس الفترة فهو مليون . وقد صرح رمزى كلارك المدعى العام الأسبق الأمريكى ـ أن عدد الضحايا فى العراق ٦٧٠٠ طفل كل شهر ، وأن الحكومة الأمريكية كانت على علم جيد بأن هذا ما ستفعله المقاطعة . وفى تقرير للمخابرات المركزية ـ مارس ١٩٩١م : « المرض يتفشى فى العراق الظروف ملائمة لانتشار المرض ، وخصوصا ـ فى المناطق المدنية الرئيسية ـ التى تأثرت بقصف قوات التحالف . . » إننا عندما لانقتل الناس بأنفسنا ، نتحالف مع طغاة راغبين فى قتلهم : فى الأرجنتين اختفى ٣٠ ألف من ٩٧٦ ـ ٩٨٣ ـ وفى جواتيمالا ، حيث كان لنا حليف آخر قالت لجنة تنقية التاريخ اجواتيمالى : إن الحكومة قتلت ٢٠٠ ألف مواطن .

● فى بارجواى ـ أورجواى ـ تشيلى ـ السلفادور ـ إيران ـ زائير ـ الفلبين ـ اليونان : فإن سجلنا مفتوح . . لا أذكر هذا لأسرد ، وإنما لأسأل : على أى أرضية أخلاقية تدين أمريكا ؟؟

* * *

وماذا عن مشايخنا ؟

وليس كل المشايخ ـ بالطبع ـ والإمام الأكبر على رأس قائمة المشايخ الذين تجاوبوا مع السياسة . . ويعتبر فضيلته عاشقا للأضواء على العكس من سائر أسلافه ، ولأنى منهم بالتصدى لأئمة الأزهر منذ عهد الراحل الدكتور عبدالحليم محمود ، فسأدع غيرى يتكلم .

فى عدد . . الأسبوع الصادر فى العاشر من ديسمبر الماضى ـ مقالان :

الأول : للأستاذ أسامة أيوب تحت عنوان : « شيخ الأزهر وفتواه ضد الفلسطينيين » : بدأ بقوله :

أخطأ ـ نعم أخطأ ـ شيخ الأزهر الدكتورمحمد سيد طنطاوى ـ فى فتواه أو بالأحرى فى تصريحه الصحفى خلال لقائه بالمراسلين الأجانب ، حين أدان العمليات الفدائية الاستشهادية الفلسطينية ضد إسرائيليين .

وليسمح لنا فضيلة الإمام الأكبر ـ أولا يسمح ـ أن نقول له :

إنه بهذه الفتوى التي صدمت مشاعر ومعتقدات المصريين وشعوب الأمتين العربية والإسلامية ، قد أثار التباسا شديدا بشأن البديهيات الشرعية والثوابت القومية والمعتقدات الدينية في آن واحد .

لقد أخطأ شيخ الأزهر حين قال ـ وبالحرف الواحد !

« باسم الشريعة نرفض وندين العدوان على المدنيين الأبرياء ! »

ولو أن فضيلته نسب إدانته ورفضه للعمليات الفدائية إلى رأيه الخاص أو اجتهاده الشخصي لهان الأمر قليلا ، لكنه أفتى وأدان باسم الشريعة واصفا الإسرائيليين المعتدين المحتلين بـ « الأبرياء » وهذا خطأ آخر إذا أنه أغفل أو أغفل عن انهم يحتلون أرضا وشعبا ، ويمارسون القمع والحصار والتجويع ضد هذا الشعب ثم إنه أغفل أو غفل عن أن هذه العمليات الفدائية التي أدانها هي رد فعل على جرائم قوات الاحتلال والمستوطنين وهم مسلحون ضد الفلسطينيين العزل .

ونحن مع الكاتب في أن شيخ الأزهر قد دأب على تطويع فتاواه ، بل تطويع الشريعة ذاتها للمواقف السياسية الرسمية التي قد يغلب عليها أحيانا اعتبارات الدبلوماسية والموازنات السياسية ـ وهي بالطبع غير ملزمة لفضيلته . ومن ثم فليس مطلوبا منه أن يخضع فتاواه وآراءه الدينية لهذه المواقف .. وإلا فالصمت أفضل !!

ونحن نأسف مع الكاتب كذلك ـ لأنه بعد صدمة فتوى شيخ الأزهر ، يخرج علينا إمام الحرم المكي بفتوى مماثلة وإن كانت صدمتها تجاوزت الأولى باعتبار أنها صدرت بعد بدء القصف الإسرائيلي ، وفي ذروة العدوان الوحشي المتصاعد ، فبدت كأنها تبرير لهذا العدوان ضد الفلسطينيين !!

ونقول للكاتب الجليل : لاتنس يا أخي أننا في الهم شرق » وليترحم معنا على آخر العلماء بالسعودية الشيخ عبدالعزيز بن باز فإبان الهجمة الشرسة على بيت الله الحرام منذ سنوات سئل : مارأيك في هؤلاء الخوارج ؟؟ فقال « الله أعلم بهم »

ثانيا : مقال الأستاذ محمد وفاء حجازى ، تحت عنوان : « أمريكا تبارك إرهاب إسرائيل ، وشيوخنا يكفرون المقاومة » قال :

« عندما أوصدت الدنيا أبواب العدل والحق فى وجه شعب فلسطين ، استمد هذا الشعب الصادق الصابر من عقيدته الدينية المدد والعون على تخطى اليأس واستعان بقوة إيمانه على قهر الإحباط . وشحذ العزائم ، وخاض وهو متسلح بالإيمان أعظم وأشجع معارك المقاومة فى تاريخ الإنسانية .. وضرب أروع أمثلة بذلك .

الفداء بالنفس فى تصميم لايتزعزع على استرداد حقوقه المغتصبة إلا أن الشعب البطل فوجئ - وهو يتصدى لحرب الإبادة التى تشنها إسرائيل ضده ، باثنين من فقهاء العقيدة الإسلامية وأئمة الدين الحنيف يعلنان فى أعقاب العمليات الفدائية .. بأن شريعة الإسلام تصون النفس البشرية وتعتبر من يعتدى عليها بقتلها .. ظلما وعدوانا ،وكأنه قتل الناس جميعا .. وباسم الشريعة نرفض وندين العدوان على الأبرياء من المدنيين !

ولايملك المرء - كما يقول الكاتب - إلا أن يتساءل عن الحكمة فى أن يصدر شيخ هنا هذه الفتوى ، وشيخ هناك مثلها ، فى هذا التوقيت على وجه التحديد ؟ لايمكن تفسير هذا التصرف المشترك والمتزامن سوى أنه إدانة مباشرة للعمليات الفدائية التى قامت - المقاومة الفلسطينية بها ردا على المذابح المتتالية التى ترتكبها إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى بطول فلسطين المحتلة وعرضها ، ولايمكن تفسير هذه المبادرة المشتركة من شيخينا سوى أنها تكفير للعمل الفدائى الفلسطينى ، واعتباره جريمة تدينها الشريعة ولايغفرها الدين !

وأنهى الكاتب مقاله بقوله :

لقد اختلطت الأمور على شيخينا وتداخلت المسائل ، وتساوى فى نظريهما المعتدى بالضحية المعتدى عليها ، وبدلاق أن يكونا داعيى جهاد - باسم الدين ضد ظلم بين ، وباطل بين إذ بفتواهما تحميان مجتمعا عنصريا شرسا ، قام على الاغتصاب والعدوان على مدى نصف قرن دون رحمة ودون توقف .. ومع ذلك فإن عزاءنا هو أن الفتوى ذات القول الفصل هى

التى أصدرتها جماهير الأمة العربية التى تدعم الانتفاضة والمقاومة وتدعوهما إلى الاستمرار ومواصلة مسيرتهما حتى النصر !!

ونقول :

لم تختلط الأمور على الشيخين ، ولم تتداخل المسائل ، ولكنهما أفتيا بما يوافق السياسة ، وليس مما يوافق شريعة الإسلام حفاظا على كرسيهما ، وتجاهلا عن عمد أن آية المائدة ـ ٣٢ نزلت فى اليهود تعقيبا على قصة ابنى آدم :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾

ياعزيزى الكاتب :

إن الأزهر اليوم مجرد تاريخ حاضره مناقض لماضيه ، فى الماضى كان شيخ الأزهر فوق السلطة ، فوق السياسة ، حسبنا أن نشير إلى مثالين اثنين من أولئك المشايخ العظام .

● الشيخ محمد مصطفى المراغى :

إبان الحرب العالمية الثانية ، كانت مصر خاضعة للسياسة البريطانية وعندما فكر أحمد ماهر رئيس الوزراء ـ يومئذ ـ فى إعلان الحرب على ألمانيا نصحه البعض وحذروه مغبة هذه المخاطرة ، فلم ينتصح ومن هؤلاء البعض شقيقه على ماهر .

كان الشيخ المراغى فى رمضان يلقى دروسا بالأزهر يحضرها الملك فاروق ، وفى إحدى المحاضرات سئل الشيخ عن رأيه فى إعلان مصر الحرب على ألمانيا تجاوبا مع الحلفاء فأجاب : « هذه حرب ـ علم الله لاناقة لنا فيها ولاجمل » !

وكان أن ارتجت السفارة البريطانية ، وفشلت كل الضغوط على الشيخ حتى يخفف من تصريحه ، ولزم البيت ، وخشية قيام الأزهر علماء وطلابا بمظاهرة لاتحمد عواقبها ، بذلت السلطات محاولات حتى عاد الشيخ إلى مكتبه .

●● الشيخ عبدالمجيد سليم :

كان فاروق الملك فى مصيفه ..ينفق فى بذخ يصل إلى درجة السفه ، تحدثت عنه الصحف العالمية ، وتقدم الأزهرإلى وزير المالية لحاجة الأزهر إلى قليل من المال فاعتذر الوزير : الميزانية لاتسمح .. فقال الشيخ عبارته المشهورة : « تقتير هنا وإسراف هناك » وفى عزة العلماء جمع الشيخ ـ رحمه الله ـ أوراقه ، واعتزل بمسكنه ـ ونقول : ليس هناك أسوأ من أضله الله على علم .. وله قدرة على التأويل والتفسير وبخاصة أن : « القرآن حَمال أوجه» كما قال الإمام على ـ رضى الله عنه ..

ونكرر القول :

إن الأزهر ليس ملكا للمشايخ وحدهم ، لأن لكل مسلم لبنة فيه وإن للأزهر حقا فى رقبة كل مسلم ، باعتبار الأزهر المؤسسة الإسلامية الوحيدة التى لاجدال فيها .. وليس معنى هذا أن رأى شيخ الأزهر فضلا عن من هم أقل منه ـ له قداسة ، ولسنا ندرى لماذا يعتبر شيخ الأزهر الحالى الدكتور محمد سيد طنطاوى رأيه مقدسا ،ويثور على من يعارضه ؟ لماذا يتجاهل قول الإمام الشافعى ـ رحمه الله :

« كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد عليه الإ صاحب هذه الروضة الشريفة» صلوات الله وسلامه عليه .

ومعذرة حين نقول :

إن شيخ الأزهر الحالى من هواة الانتشار والأضواء ومسايرة السياسة اعتقادا منه فى أن هوايته ستحفظ عليه مركزه ومكانه لدى السلطة السياسية ، ولا اعتبار لمركزه ومقامه لدى العالم الإسلامى ، وفى الأحداث الأخيرة جاءت آراء الشيخ مخيبه للأمال ، وليته تأسى بآراء علماء إيران وغيرهم .

فى عدد « الأسبوع » القاهرية ٢٤ / ١٢ / ٢٠٠١م

● تعليق ساخر على فتاوى تحريم العمليات الاستشهادية ليس برئيا »

● هاأرتس : السلطات العربية تجند رجال الدين للإفتاء على هواها »

• التحقيق ترجمة الأستاذ ياسين حسام الدين ـ وفيه :

سخرت صحيفة (هآرتس » الإسرائيلية من فتاوى تحريم العمليات الاستشهادية التى أصدرها بعض رجال الدين المسلمين آخرهم الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ـ السخرية هذه المرة ليست برئية ، وهى تعتبر أن هذه الفتاوى سياسية هدفها التهدئة مع الولايات المتحدة وكسب رضاها وتبرئتها من أية عملية «انتحارية خاصة » أن العمليات التى استهدفت مركز التجارة العالمى كانت انتحارية ـ أيضا ـ والسياق ليس برئيا ـ كما يرى المترجم ـ فهناك حملة عالمية ضد الإسلام لوصمه بالإرهاب ، والكاتب ـ أى الإسرائيلى ـ يرى بمقاله هذا أنه يضع الشريعة الإسلامية فى موضع الاتهام ، تماشيا مع موجة عالمية حتى ولو كانت لاتخدم على المدى القصير مصالح صهيونية .. هذا أهم ماجاء فى مقال بقلم تسفى برتيل صحيفة « معاريف » الإسرائيلية .إن : مضمون فتوى شيخ الأزهر ـ الذى تعود على إثارة الجدل بخلافه مع د. نصر فريد ـ وتوقيتها لم يترك مجالا لشك ، فقد صدرت عقب وقوع سلسلة عمليات « انتحارية بالقدس وحيفا ، وقصد طنطاوى التنديد صراحة بهذه العمليات وإدانتها حتى وإن لم يضع الشرع الإسلامى فى اعتباره ، ما إذا كان الإسلام يحرم العمليات الانتحارية أم يعد منفذيها بالحصول على مراتب الشهداء .

وكان رأى طنطاوى قد تغير قليلاً عن رأيه فى إبريل الماضى فأوضح أن هذه العمليات تعد دفاعاً عن النفس ، ونوعا من التضحية المقدسة ، طالما كان الهدف منها قتل المحاربين فى صفوف العدو ، ولكنها لاتكون كذلك ، إذا قتل بسببها نساء وأطفال .

وهذا الرأى ردا على فتوى الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ مفتى السعودية الذى أعلن ساعتها أن هذه العمليات التى يقوم بها الفلسطينيون ضد أهداف إسرائيلية ليست « استشهادية » وليس لها أساس شرعى ورد عليه عبد العزيز الرنتيسى أحد قادة حماس ، قائلاً إن هناك فرقا بين الانتحار، الذى يكره فيه شخص ما حياته لأسباب مختلفة ، ويختار الموت بالانتحار ، وبين من يقوم بالتضحية بنفسه ـ لإصابة العدو ـ فى سبيل الله » .

• ويرى كاتب التحقيق :

أن الجدل الذى أثاره شيخ الأزهر ليس جدالا دينيا ، فأهل الإفتاء لم يطالبوا بإبداء رأيهم فى العمليات ذاتها وإنما سئلوا عن الإضرار باليهود الأبرياء ، وعما إذا كان ذلك حلالا شرعا .. وكتب أحد الباحثين المصريين قائلاً : « إن كلام شيخ الأزهر لايتماشى مع الشريعة الإسلامية قدر تماشيه مع السياسة ، وإن القادة السياسيين بحاجة إلى تذليل العقبات وفض الخلافات مع الولايات المتحدة ، حتى ولوكان ذلك من خلال تجنيد رجال الدين لأداء هذه المهمة .

• ويضيف الكاتب :

« واتهم كتاب آخرون شيخ الأزهر بأنه رجل سلطة ، وهذا الادعاء يوجه إليه دائما حينما يتعلق الأمر بموضوعات تريد السلطة السياسية استصدار فتاوى بشأنها ، لاتتماشى - بالضرورة - مع إجماع العلماء ، أو توظف لاحتياجات آنية تخدم أمن الدولة » !

وإذا كان شيخ الأزهر - كما فى التحقيق - هو الذى منح السلطة فتاوى مكنتها من شن حرب شعواء على التنظيمات المتطرفة فإن علماء آخرين منحوا السادات فتوى أجازت له إبرام اتفاقية سلام مع اسرائيل * .

وإن الدكتور طنطاوى حاول استرضاء السلطة السياسية ، يدفع ثمنا لها بالعملة الدينية حينما قرر إصدار فتواه الأخيرة فى العمليات الانتحارية ، ويستند المنتقدون لشيخ الأزهر إلى أساس دينى لنسف فتواه .

فالكاتب فهمى هويدى ، يرى أنها فتوى خاطئة ، لأن المجتمع الإسرائيلى - حسب رأيه - مجتمع عسكرى .. وكل مدنى فيه : رجالا كانوا أم نساء ليسوا إلا جنود احتياط !

* فتاوى المشايخ أيدت وباركت برغم فتاوى سابقة لهيئة كبار العلماء ترفض فكرة الصلح مع إسرائيل ، أما الاتفاقية ، فكانت مخططا أمريكيا ولم يكن فى وسع السادات إلا أن يستجيب .

وتساءل هويدى :

ماذا عن المستوطنين الذين يوجهون رصاص أسلحتهم إلى البيوت الفلسطينية ، ويسيرون فى الشوارع حاملين رشاشاتهم فوق أكتافهم ؟؟

وباستنكار سأل :

هل هؤلاء جنود أم مدنيون ؟

وماذا نقول عن شعب أعطى صوته لمجرم حرب مثل شارون ؟ هل يمكن أن تسمى هؤلاء « أهل ذمة » ؟؟

وأوضح هويدى أن الذمة تمنح لطائفة ـ من غير المؤمنين ، تقيم داخل حدود الدولة الإسلامية ، وتبرم عهدا مع الحكام ، تكون بمقتضاه طائفة من المواطنين الأخيار .

وأضاف الكاتب : أن شيخ الأزهر أخطأ مرتين :

الأولى : حينما وصف الإسرائيليين بأنهم مدينون أبرياء .

الأخرى : حين اعتبرهم أهل ذمة .

وفى التحقيق :

معارضو شيخ الأزهر ، يقف على رأسهم الدكتور القرضاوى الذى أعلن استعداده لمناظرة شيخ الأزهر فى أى مكان .

ومفتي مصر : د. نصر فريد ـ أكد أن هدف العمليات الانتحارية يضع حدا للظلم الموجة للفلسطينيين ، وحماية الأماكن المقدسة ، والحفاظ على كرامة العرب لذلك فهي مشروعة .

وادعت الصحيفة الإسرائيلية ، أن هناك أصواتا داخل المجتمعات العربية بدأت تعتبر أن عمليات حماس والجهاد تضر بالفلسطينيين ، ومن بين هذه الأصوات ، مانشرته مجلة « المصور »المصرية التى هاجمت العمليات وصحيفة القدس العربى التى طالبت الفلسطينيين بوقف إطلاق النار حتى يظهروا كجبهة واحدة .

وخاتمة التحقيق كلمات وضعت النقاط على الحروف .

« وهكذا فإنه فى الوقت الذى تخوض فيه الولايات المتحدة حربا ضد الإرهاب ـ التى تفهم أيضاً أنها حرب ضد الإسلام ـ فذلك هو الوقت الذى تجند فيه السلطات العربية رجالها الدينيين لكى يقفوا إلى جانبها وفى صفوفها ، ولكى يصدروا فتاوى : « على ما يرام » !

* * *

• هناك حقيقة لايمكن تجاهلها :

هى أن الإرهاب لفظ ليس هناك إجماع على تعريف محدد له ، لأن كلا يعرفه بما يتفق مع أهوائه ومصالحه ، بل ومن القوى السياسية من تستغله لتحقيق بعض أهدافها .. وفى جريدة « الأهرام » فى التاسع عشر من أكتوبر الماضى ، تحقيق تحت عنوان « الإرهاب آخر موضة » رأى الدكتور فكرى عطا الله ـ الأستاذ بالمركز القومى للبحوث :

أنه لم يتفق المتخصصون على تعريف محدد « للإرهاب » برغم النمو الشديد فى هذه الظاهرة ، والاهتمام المتزايد بها ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الإرهاب شكل أو أسلوب من أساليب الصراع السياسى ، ومن ثم فإنه من المتاح لكل القوى السياسية ـ بغض النظر عن إيديولوجياتها ـ أن تلجأ إلى استخدامه ، ومما يزيد أيضا من صعوبة الاتفاق على تعريف لظاهرة الإرهاب أن مصطلح الإرهاب محمل بقدر كبير من السمات العاطفية التى تتضمن الإدانة المبدئية له لذلك تجد أن استخدام مصطلح الإرهاب ، أو وصف فعل أو نشاط معين يكون مقصورا على الخصوم السياسيين القائمين به ولكن بصفة عامة .

ولما كان الإرهاب ـ كما يقول الدكتور فكرى عطا الله ـ أحد أشكال الصراع السياسى بين الجماعات المتناحرة ، وكان موضوعا لجدل وخلاف عميق بين المعنيين به ، تبعا لتباين مواقفهم من الصراع السياسى الدائر ، لذلك أصبح الإرهاب يأخذ أسماء مختلفة تبعا للجانب الذي تتخذه الأطراف من الصراع .

ويضيف الدكتور فى التحقيق الذى كتبته المحررة الأستاذة راوية الصاوى تحت عنوان « حتمية الإرهاب » أنه إذا كانت دعاوى المستشرقين ضد الإسلام بأنه دين العنف وقد انتشر بالسيف .. حتى أنهم ألصقوا بالمسلمين تهم العنف والإرهاب ، وبات هذا يهدد بتشويه الصورة للإسلام والمسلمين فى المجتمع الدولى ، فإن هذه الدعاوى غير صحيحة ، فالدين الإسلامى فى جوهره سلام يتعارض مع العنف والإرهاب .

ومن الأكاذيب التى يروجها المستشرقون - أيضاً - أن التاريخ الإسلامى دموى مليئ بأحداث القتل والاغتيالات ، ولكن التاريخ نفسه يثبت مدى الافتراءات ، فقتل سيدنا عمر - رضى الله عنه - كان بتدبير مجوسى ، ومقتل سيدنا عثمان - رضى الله عنه - كان نتيجة مؤامرة يهودية ، وحتى مقتل سيدنا على - كرم الله وجهه - كان من جماعة « الخوارج » التى أساءت فهم الإسلام وحاربهم - رضى الله عنه » .

وتحرص واشنطن على إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين وتتجاهل هى أنها صانعة الإرهاب وأن الصهيونية التى تباركها وتساندها ، هى والإرهاب وجهان لعملة واحدة وأن هذه الصهيونية وراء كل فتنه فى شتى بقاع العالم .

فى حوارأجراه الأستاذ محمد الشندويلى باللواء الإسلامى (٣ / ١ / ٢٠٠٢م) مع الشيخ تاج الدين الهلالى - مفتى استراليا - يقول فضيلته : إن لم تكن الصهيونية إرهابا فأين الإرهاب ؟ وأكد أن الأرهاب الحقيقى هو الصهيونية العالمية ، وما تفرضه من سياسات وتعد وتطاولات واغتيالات ، وخير دليل على ذلك ما هو موجود فى إسرائيل والمكافحة الحقيقية ، هو مقياس العدالة بلا تجميل ولاموارية .

والإسلام - كما يقول - لايعرف الإرهاب إطلاقا ، وإنما ذلك الإرهاب هو تصدير غربى يريدون تشوية الإسلام ، هذه الكلمة الرهيبة التى تربعت على عروش الإعلام العالمى ، مسموعة كانت أم مرئية أم مقروءة ، وأصبحت حديث القاصى والدانى والكبير والصغير ..

إن تشخيص هذا المرض ـ الإرهاب ـ بالمنظار الأمريكى الأعور الذى لايرى الحقائق على أصولها ، لن ينتج عن هذا التشخيص المخطئ إلا نتائج سلبية أكثر خطأ ، والطريق الأقوم والمنهج الأسلم لمكافحة هذا الداء الوبيل أن نقوم بتشخيصه بعين الحقيقة ومنظار التجرد ومقياس العدالة والإنصاف ، بلا تجميل ولاتدجيل ولاموارية ».

وأخيراً وليس آخرا :

فإنه لمن المؤكد أن أحداث الثلاثاء الأسود عجلت بتنفيذ مخطط ، واشنطن ـ تل أبيب « لشن » الحرب على العالمين العربى والإسلامى ، والاستيلاء على كيانهما ونهب ثرواتهما ، ولم تكن الأحداث الأخيرة هى الدافع الأصيل ..

وإنه من المؤكد ـ أيضاً ـ أن الأنظمة الشمولية اعتبرت الأحداث فرصة ذهبية ، لتصفى حساباتها مع الحركات الإسلامية المناهضة لجبروتها وطغيانها ،كما أن الدول الغاشمة : صليبية كانت أم شيوعية أم هندوكية أم بوذية ، اعتبرت الأحداث فرصة لتصفية حساباتها مع الأقليات المسلمة فيها ، هذه الأقليات التى تثور من آن إلى آخر ضد الظلم الواقع عليها ، والتى لم يكن مثيرا للدهشة أن تعتبرها واشنطن فى قائمة الإرهاب ، ولاتلام واشنطن على وقاحتها وغيها ، ورحم الله الشاعر العربى القائل :

ومن البلية عذل من لايرعوى عن غيه وخطاب من لايفهم